
روايات مصرية
سلسلة
الأعداد
الخاصة
8
ما وراء الطبيعة
Looloo
www.looloolibrary.com
تلك المدينة
د. أحمد خالد توفيق

مقدمة المؤلف

هأنذا أمشى فى ذلك الممر الطويل الذى غطته أوراق خريفية مصفرة ..

أوراق حياتنا تتساقط كهذه يومًا لندرك حقيقة أننا استحلنا أشجارًا جرداء ....

ثمة قط يرمقنى فى رعب قبل أن يتوارى خلف جذع شجرة .. طفل نصف عارٍ يركض وراء طوق دراجة وهو يصدر صوت (بيب بيب) .. ثم يرانى فيتمهل ..

فلاحات جالسات عند مدخل دار يتوقفن عن الكلام وينظرن لى فى فضول .. فضول أقرب للعدائية .. جريمة كبرى أن تكون غريبًا هنا .

أعبر ذلك الممر بين البيوت وأتنهد الصعداء عندما أخرج إلى تلك المساحة الواسعة ، وهنا أرى السيارة . سيارة بيجو بيضاء تقف جوار جدار وفيها سائق غافٍ قد أرجع المقعد للخلف . شأن من ينتظر أحدهم .. هؤلاء السائقون ينتظرون .. دائمًا ينتظرون ..

أعبر المساحة الخالية حتى أبلغ جدار المقبرة ، وأسمع صوت أحدهم يتلو آيات قرآنيـة .. الريح تصفر فى أذنى فتتطاير الأوراق . للمقابر جو كئيب لكنه مهدئ للأعصاب كأنه يذكرك بالاستقرار الأخير للمادة القلقة فينا .. السلام النهائى .. هذه هى الكلمة المثلى ....

أمشى بين شواهد القبور البدائية .. حتى القبور تتباين فى الثراء ، بين قبور بدائية بائسة كأنها من طين ، وقبور مغرورة فاخرة فيها بذخ هائل .. هؤلاء الذين طلبوا التميز الطبقى حتى وهم موتى ..

أرى من بعيد المقبرة التى أقصدها ..

كما توقعت .. هناك امرأة تلبس الأسود وتضع على شعرها إيشاربًا أسود وتحمل أزهارًا تضعها على شاهد القبر ، وقد وقفت تنظر لقدميها كأنها فى دقيقة حداد .. بينما وقف على بعد مترين رجل نحيل أسمر ..

يمكنك بسهولة أن تدرك أن المرأة أجنبية .. هناك بقايا شعر أشقر مختلط بالشيب تطل من تحت الإيشارب ..

(ماجى ماكيلوب) .. (ماجى) الباسلة تقف هناك أمام قبر رفعت إسماعيل تحاول تذكر كل اللحظات التى عاشاها معًا .. الحب .. الرعب .. الغضب .. الغيرة ..

يصعب عليها أن تتخيل أنه صار هيكلاً عظميًا كالذى اعتاد أن يقابلهم فى كوابيسه ..

يصعب عليها أن تتخيل أن كل هذه الذكريات هنا تحت هذه التربة بالذات .. تكفلت البكتريا بتحويل كل هذا إلى كربون ونتروجين ..

تأملت وجهها .. الحق أنها شاخت كثيرًا . لقد أضاف عامان من فقدان رفعت بضعة قرون على ملامحها .. الآن فقط تدرك سنها الحقيقية .. لقد كان الحب يمنح ملامحها أفضل عملية شد جلد أو حقن بوتوكس فى التاريخ .. أما الآن فقد أدركت بوضوح أنها تجاوزت الستين ، برغم رشاقتها ونبلها الواضح ...

وحينما تحركت أدركت أنها تعرج قليلاً .. لا بد أنها جلطة أصابت ساقها مؤخرًا ..

أما الرجل فكان يماثلها فى العمر ..

عزت جار رفعت النحات والمريض الأبدى . يمكنك أن تتشكك فى موهبة عزت ، لكن لا تنكر أنه كان صديقًا بالغ الإخلاص ..

ليس اليوم هو ذكرى وفاة رفعت .. لقد مات يوم ٣ أغسطس ، لكن ماجى لم تستطع المجىء من إنجلترا إلا بعد شهر ونصف ، لكن لا بأس .. الخريف هو فصل رفعت المفضل. لا شك أنه يفضل لو لم يمت فى شهر أغسطس الكريه . فقد كان يمقت العرق حتى وهو ميت ..

مسحت أنفها بالمنديل ونظرت للقبر نظرة أخيرة ، ثم لبست نظارة سوداء لتخفى احمرار عينيها ومدت يدها فتناولها عزت .. وبدا أنهما موشكان على العودة للسيارة الواقفة بالخارج ..

استوقفتهما فنظرا لى بدهشة ..

هما لا يعرفان من أنا .. رفعت فقط هو من كان يعرفنى جيدًا وينافسنى ويشعرنى ـ بصفتى المؤلف ـ أنه لا قيمة لى .. هو وحده النجم الجذاب بينما أنا مجرد ظل له ..

لا يعرف هذان من أنا ولا دورى فى حياة رفعت. لا يعرفان أننى صنعته ببساطة .. بل صنعتهما كذلك ...

لا يهم .. بعض نكران الذات لن يؤذى أحدًا ...

قلت لعزت وأنا أصافحه :

ـ « علاقتى برفعت إسماعيل حميمة جدًا .. أكثر مما تتصوران .. وإننى لراغب فى الجلوس معكما فى أى مكان لمناقشة الأمر .. »

ترجم بالإنجليزية المهشمة ما قلته لماجى فلم تعلق .. قررت أن أكمل كلامى بالإنجليزية ليفهم الاثنان ما أقول . قال عزت :

ـ « للأسف لا وقت لدينا .. المسافة من كفر بدر للقاهرة طويلة. يجب أن نرحل الآن .. »

قلت فى إصرار :

ـ « سأعود معكما فلا شىء يربطنى هنا ... لقد مات رفعت إسماعيل »

تساءلت ماجى بصوت مبحوح :

ـ « هل سيارتك بالخارج ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « إذن كيف جئت ؟.. هل أنت من سكان القرية ؟ »

قلت فى غموض :

ـ « هذه قصة يطول شرحها .. سوف أفسر لكم كل شىء فى الطريق »

لم يعترضا .. ما كان بوسعهما الاعتراض وإلا لحذفت الفقرة بأكملها !

★ ★ ★

هكذا جلسنا فى لوبى الفندق جوار تلك النافورة السرمدية ، بينما عازفة بيانو غربية تعزف مقاطع من أغنية قديمة للبيتلز ... طلب لنا عزت بعض الشاى ، بينما رحت أحكى لماجى ماكيلوب كل شىء .. كل شىء ..

أخرجت علبة تبغ أنيقة وقداحة صغيرة ذهبية وأشعلت لفافة تبغ .. غريب !.. لا أذكر أننى جعلتها تدخن ، من الواضح أنها بدأت ذلك بعد وفاة رفعت .. لقد تبدلت كثيرًا حتى لم تعد ذات صلة قوية بماجى التى ابتكرتها . هذا سبب خشونة صوتها الحالية طبعًا ... نفثت سحابة دخان كثيفة ، ثم قالت :

ـ « أنت إذن تعرف الكثير عن رفعت .. ماذا تفعله اليوم بعد وفاته ؟ »

السؤال الدائم الذى يثير أعصابى ..

تنهدت مفكرًا ثم رشفت رشفة من القهوة وقلت :

ـ « أكتب .. كنت أكتب دومًا قبله وسأكتب بعده ... »

شاردة نظرت لمياه النافورة وهمست :

ـ « كان رفعت يمثل لى المحيط .. المحيط الممتد المفعم بالأسرار .. كلما حسبت أنك رأيت وعرفت كل شىء فاجأك بشىء جديد .. بموج عالٍ .. بسفينة غارقة . بحوت عنبر .. بيوم هادئ بلا أحداث. لهذا أعتقد أن لدى حشدًا من ذكرياته غير المطروقة ، تلك التى لا تعرفها أنت »

باهتمام رحت أصغى واختلست نظرة لعزت فوجدته مطرقًا كأنه سمع هذا الكلام من قبل .. هذه محادثة تمت بحذافيرها من قبل . . لا شك فى هذا ..

أردفت ماجى بعدما سحبت نفسًا عميقًا آخر :

ـ « لقد كان يكره الملل كراهية الجحيم ، وقد جعله هذا من أكثر من عرفت تسلية وتجددًا .. »

كدت أخبرها بأن مصيبتها مفهومة لى فلا داعى لكل هذا التكرار ..

لا شك أن رفعت ورث الملل منى .. لا أطيق أى نوع من الرتابة . خاصة هؤلاء الذين يقولون فى ربع ساعة ما يمكن قوله فى دقيقة .. أكرههم وأتمنى قتلهم بالديناميت جميعًا . لكن ماجى ليست من هذا الطراز ..

قال عزت وقد لاحظ حيرتى :

ـ « تريد القول إن لديها قصصًا لم تُمس لرفعت إسماعيل .. أرضية بكر »

اتسعت عيناى دهشة .. قصص لرفعت إسماعيل لم أكتبها أنا ؟ يبدو الأمر غريبًا ..

قالت ماجى :

ـ « خطر لى أننى سأموت قريبًا ... ولسوف تدفن هذه القصص معى ، لذا خطر لى أن بوسعك نشرها ... هذا يوهمنى أنه ما زال حيًا »

قصة رعب لا بأس بها أبدًا .. أبطال قصتك أحياء يفعلون أشياء لا تعرفها ولم تكتبها .. ذكرونى أن أكتب قصة بهذا المعنى يومًا ما .

جاء النادل لعزت بمشروب غريب يبدو كأنه سحلب يتظاهر بأنه عصير برتقال سقطت فيه ذبابة خضراء . لا أستطيع فهم مزاج النحاتين المصابين بمرض أديسون على كل حال .

تدفن ماجى جثة سيجارتها فى المطفأة .. ثم ... كما توقعت !! .. تشعل أخرى . رفعت إسماعيل لن يكون الوحيد الذى يموت بسرطان حنجرة هنا ..

قالت وهى تنفث سحابة أخرى :

ـ « لقد ترك لدى حشدًا من الأوراق .. دون ملاحظات كثيرة ، وقد وضعها فى ملفات منفصلة . للأسف لا أقرأ العربية ولا أعرف ما فيها .. »

قال عزت بالعربية :

ـ « لسبب غامض لم تطلب رأيى أو ترجمتى .. ربما كانت لا تثق بى .. بصراحة لا أعرف .. »

قلت له بالعربية :

ـ « ربما هى تخشى أن يكون فى الأوراق شىء يمسك أو يسىء لك .. لو كان رفعت يتكلم فى المذكرات عن جاره الجحش الأحمق ، فأنت لن تحتفظ له بذات درجة الحب »

ـ « هاه .. »

قالها فى استخفاف وأردف :

ـ « بدأت علاقتى مع رفعت على أساس أننى آكل لحم بشر .. بعد هذا اعتبرنى أحمق محدود الموهبة . لقد تعلمت تجاوز هذا الجزء »

ـ « ربما كان يتكلم عن خطته لذبحك وأنت نائم .. لا أحد يعرف »

ـ « هل تنويان العودة للغة الإنجليزية ؟ »

قالتها ماجى بالإنجليزية الراقية فى شىء من الضيق . شعور الجهل المعتاد عندما تدور أمامك محادثة بلغة لا تعرفها ، لكنك تدرك يقينًا أنك طرف فى الكلام ..

غيرنا اللغة على الفور ، وقلت لها :

ـ « طبعًا هذه الملفات فى بيتك بإنفرنسشاير .. »

ـ « كانت ! »

فلما رأت دهشتى أردفت :

ـ « هى معى هنا فى مصر .. فى حقيبتى !... ولسوف أجلبها لك إذا وعدتنى بأن تقدم منها كتابًا »

لم تدر ـ هذه البلهاء ـ أنها تتحدث عن أجمل أحلامى . تصور قصة كاملة لرفعت إسماعيل لا دور لى فيها ولم تتعبنى فى تأليف الأحداث . فى حماسة وعدتها فدفنتْ باقى اللفافة فى المطفأة وأصلحت من شأن ثوبها ونهضت قاصدة المصعد إلى غرفتها فى الفندق .

قال عزت فى إعجاب :

ـ « فتاة باسلة .. »

قلت مصححًا :

ـ « بل امرأة عجوز باسلة .. لشد ما يحزننى ذبول كل هذا الجمال .. »

نظر لها وهى تضغط على زر المصعد فى نهاية الممر وقال :

ـ « من الغريب أن رقتها طاغية .. تطل من عينيها ولفتاتها وكل شىء ، فلا تترك لك مجالاً لتخمن سنها أو تلاحظ تجاعيد وجهها .. »

ـ « لو سمعك رفعت ـ يرحمه الله ـ فلن يسعده هذا كثيرًا .. يبدو لى كتشبيب شعراء .. »

ـ « وهل هناك من لم يقع فى حب ماجى ماكيلوب ؟ بدءًا بالأطفال الرضع والقطط حتى الشيوخ مثلى . إنها سنوهوايت أو سندريلا العصر الحديث .. ولو كانت الحياة أكثر عدلاً لغردت العصافير من حولها وتمرغت الأرانب البيض عند قدميها . أنا نفسى حسبت فى البدء أنها شىء زجاجى نحيل خالٍ من الأنوثة وتبدل رأيى .. »

بدا لى مبالغًا .. وساد صمت طويل لا تسمع فيه سوى صوت الأنفاس ..

ثم سمعنا قرعات الكعب الرشيقة ، ومن بعيد جاءت ماجى حاملة مجموعة من المظاريف البيضاء كثيبة المنظر ... هرع عزت يساعدها فى الحمل ..

أنا جالس أرمق كومة من مظاريف لم أتصور أنها موجودة ..

رفعت إسماعيل كانت لديه قصة أو قصتان لم يحكهما ولم أعرف عنهما شيئًا ..

تناولتْ لفافة تبغ ثالثة ـ فى ربع ساعة ـ وأشعلتها ثم قالت لى :

ـ « مظروف واحد فى كل مرة .. انتق واحدًا .. »

ـ « ولِمَ لا آخذ الكل ؟ »

ـ « لن أخاطر .. هذه الأشياء تضيع .. وأنا لن أصورها كمستندات . معظم الصور ضعيفة جدًا أو كتبت بقلم من الجرافيت .. »

مددت يدى ورحت ألعب لعبة (حادى بادى ..) أو (مينى مينى ماينى مو) الغربية .. أو (خط الله مجيد مجيد .. كله حرب وكله صيد) الشرقاوية ..

أه !... هذا المظروف المكتنز .. اسمع القصة الحبيسة بالداخل تتلوى كسمكة محاولة الخروج . صبرًا يا حلوتى .. سوف تخرجين لكن ليس هنا ..

قالت ماجى بلهجة عملية :

ـ « خذها إذن .. وأرجو أن تتصل بى غدًا لأعرف رأيك .. »

تتحدث بخشونة وعصبية برغم أنها تعرف جيدًا أننى صاحب القصة كلها .. لا بد أن شعور الأب الذى يعامله أبناؤه بغلظة هو ألعن شعور ممكن ..

نهضت وحييتها .. ومشيت عبر لوبى الفندق ..

الفنادق حيث تولد قصص وتنتهى قصص .. حيث لا يكف الناس عن المجىء والرحيل ، وكل واحد منهم لا يتملك شيئًا على الإطلاق .. يترك ذكرى خافتة لبعض الوقت ثم يرحل للأبد ، وينسى الجميع أنه كان هنا أصلاً . الفنادق هى الحياة نفسها بشكل مصغر ..

★ ★ ★

فى شقتى جعلت زوجتى تعد لى عشاء دسمًا .. هذه متعة لم يجربها رفعت إسماعيل قط . أن تأكل وجبة شهية لم تصنعها أنت ولم يصنعها مطعم . ثم طلبت منها كوب شاى ، قبل أن أدخل لغرفة مكتبى وأضىء الأباجورة وأمد يدى للمظروف ..

للحظة ارتجفت ... ثمة شىء رهيب فى هذا ... كأنى أفتح نصًا دينيًا مجهولاً ..

بفتاحة الخطابات فتحت المظروف .. سوف ألصقه فيما بعد بشريط لاصق . أخرجت مجموعة أوراق فلوسكاب كتبت بعدة أقلام تتراوح بين الحبر والجرافيت والجاف . ثمة ثقوب فى بعض الصفحات نتيجة لتبغ السجائر ..

وعلى الصفحة الأولى قرأت العنوان بخط واضح :

هربـوى تنـزاك

سكفج تصهتفبن

ما شاء الله ! بدأت الألغاز من صفحة الغلاف .. ترى أى لغة شيطانية هذه ؟.. الحروف عربية على الأقل وتستعمل الضاد ..

ثم فتحت الورقة الأولى فوجدت :

« ثرتج يزى تنلطى هوز .. » إلخ ....

هل هى مقلوبة ؟.... كازنت فش تض .. جميل فعلاً .. زاد الأمر وضوحًا .. عبارة بليغة جدًا وذات معنى .. إن الرجل والحق يقال لبليغ .

تبدو لى كلغة فارسية نوعًا .. ولكن لماذا يكتب رفعت إسماعيل خواطره بالفارسية ؟ للتمويه ؟ ربما .. لكن هذا فى عصر جوجل يُعتبر مزحة سخيفة جدًا لأن البرنامج قادر على تحديد نوع الكتابة وترجمتها فى ثوانٍ ..

هكذا فتحت جهاز الكمبيوتر وكتبت هذه العبارة وطلبت من جوجل أن يعرف نوع اللغة ..

غريب هذا .. لم يعرفها ..

ثم أدركت الحقيقة وهى أن هذه الأوراق كتبت كلها بشيفرة خاصة .. شيفرة يعرفها رفعت .. هذا جهد لا طائل منه لأنه مات بسره ..

ثم عدت أتأمل الحروف وتذكرت قصتين ..

فى التاريخ العربى قصة شهيرة عندما جرب ملك الروم أن يختبر العبقرى (الخليل بن أحمد) ، لذا أرسل له رسالة بحروف يونانية ، وتحداه أن يقرأها عالمًا أنه لا يعرف حرفًا من تلك اللغة ... طلب الخليل مهلة للتفكير واعتكف فى غرفته قليلاً ثم عاد بعد نصف ساعة حاملاً ورقة عليها كتابة بالعربية وناولها الضيف وقال : هل هذه رسالتك ؟. فيما بعد فسر الخليل الطريقة التى اتبعها فقال : ملك الروم يعرف أننى أجهل معانى الكلمات اليونانية .. هكذا فهمت أنهم استخدموا الحروف اليونانية ليكتبوا لى بها نصًا عربيًا .. بما أن هذه الرسالة كتبت بالعربية فلا بد أنها بدئت

بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) .. هكذا قارنت حروف أول سطر لأعرف كيف تكون الباء والسين والميم والألف واللام والراء .. إلخ فى اليونانية .. ثم رحت أقرأ النص .. فإذا وجدت لفظة أعرف أكثر حروفها استنتجت الحروف الباقية .. عندما تجد لفظة (الرسـ ....ل) فإنك تستنتج أنها (الرسول) وهكذا تعرف شكل حرف الواو لدى اليونانيين ، من ثم كونت الأبجدية اليونانية كلها ..

فى قصة الحشرة الذهبية لإدجار آلان بو ، وجد البطل شفرة تقود لكنز القرصان .. كان يعرف أن أكثر الحروف استعمالاً فى الإنجليزية هو E ، بالتالى قرر أن أكثر رمز يتكرر فى الرسالة سيكون هو الـ E مهما كان شكله .. عندما تتكرر ثلاثة حروف تنتهى بـ E فالاحتمال الأكبر هو أنك تعنى لفظة The .. هكذا استطاع أن يصل إلى ثلاثة حروف ، ومع جهد جهيد بدأ يكون الرسالة كاملة .. الطريقة التى استعملها هذا البطل هى التى عرفها علماء الشفرة فيما بعد باسم entropic attack ، وهى لا تحتاج إلى عبقرية خاصة .. كل من يملك المثابرة قادر على أن يحل الشفرة التى تكون بهذا الشكل ..

هناك طريقة تدعى (أجندة المرة الواحدة أو One time pad) وتستخدم لقراءة هذه الشيفرة ..

قررت أن أجرب استعمال طريقة entropic attack هذه وخطر لى أن أكثر الكلمات العربية تبدأ بأداة التعريف (ال) .. فهل يتكرر حرفان فى كتابة رفعت ؟

تن ..

هذا ممكن .. لا آمل أن أنجح وإلا كانت معجزة حقيقية .. سوف أقضى عدة أيام أحاول ثم أضرب رأسى فى الجدار وأعيد الأوراق لماجى ..

ولكن .. ما علاقة التن بحرفى (ال) ؟ كتبت الأبجدية ورحت أتتبع الحروف .. حرف التاء يقع بعد الألف بحرفين .. النون تقع بعد اللام بحرفين ..

وهنا خفق قلبى .. لقد استعمل شفرة سهلة يعرفها هو ، وبالطبع كان أى كمبيوتر قادرًا على حلها .. كل حرف فى الأبجدية يستعمل بدلاً منه الحرف الذى يليه بحرفين ..

أ تصير ت

ف تصير ك

ب تصير ث

إذن فالعنوان (هربوى تنزاك) هو ببساطة (مدينة الخوف) ...

لقد صار كل شيء واضحًا ...

مهمة عسيرة تنتظرنى إذن فى فهم هذه الأوراق .. قراءة هذا النص تحتاج إلى سكرتارية كاملة . قمت بكتابة نص برنامج كمبيوتر صغير بلغة

البازيك العتيقة BASIC ليقوم بعمل التحويل اللازم للحروف .. ثم خرجت قاصدًا أقرب مكتب لطباعة الرسائل العلمية ، فطلبت من الفتاة المذعورة هناك أن تنسخ هذه الأوراق كما هى بالحرف إلى ملف نصى ..

نظرت لى فى حيرة وحركت شفتيها محاولة النطق :

- « ثرتج يزى تنلطى هوز .. أى لغة هذه ؟ »

قلت لها فى برود :

- « عملك هو النسخ لمن يدفع ، وليس من ضمنه أن تجرى تحقيقًا مع كل عميل .. »

كانت مهمتها صعبة طبعًا لأن نسخ لغة تعرفها يتيح لك أن تبعد عينك عن الورق بعض الوقت وتكمل الكلمات من خبرتك وذاكرتك ، أما هنا فهى تنقل بشكل حرفى ..

بعد يومين أخذت الملف ، ونظرت لها فوجدت أنها أصيبت بالحول كما توقعت .. وعدت للبيت لأغذى به الكمبيوتر .. ثم راح البرنامج يجرى عمليات التحويل .. وعلى الشاشة قرأت ....

مدينة الخوف

رفعت إسماعيل

بدأت هذه القصة منذ أعوام .... الخ ..

تمهيد

(ملاحظة لا قيمة لها)

هل أنت سعيدة يا فتاة ؟

الإجابة هى نعم ..

هل تغمرك النشوة ؟

الإجابة هى نعم ..

هل تحلقين يا فتاة ؟

بالتأكيد .. لو لم تكن قدماى ترتفعان عن الأرض مترين لاندهشت جدًا ... أنا أحلق ..

ومن مكان ما يتردد صوت البى جيز الرفيع المميز على طريقة (الفالسيتو) الخاصة بهم والتى تفتعل صوتًا أنثويًا ، يغنون :

« حمى الليل .. حمى الليل .. »

« نعرف كيف نصنعها .. »

« هأنذا أصلى كى تدوم هذه اللحظة .. »

« عشت مع الموسيقا أحلى لحظاتى .. »

« ولدت على الريح .. »

« جعلتها ملكى »

الأرض تتألق بالألوان .. وهى تنقل قدميها الرقيقتين .. عندما تلبس الكعب وترقص به تشعر أنها رشيقة لدرجة لا تصدق برغم أنها تشعر كذلك بأنها تؤدى فقرة فى السيرك. كعب عال رفيع لدرجة أنه لو تحطم فلسوف تتحطم ساقها فى اللحظة ذاتها .. لربما انكسر عنقها كذلك ....

تدور حول نفسها .. أنا أبدو كوردة متفتحة .. أعرف هذا ..

يجلس فى الركن يراقبها .. يمشط شعره على طريقة ترافولتا .. ترافولتا الذى صار موضة كل قاعات الرقص فى أوائل الثمانينيات . يبتسم لها .. ينزع سترته ليمشى بالصديرى وربطة العنق نحوها .. يدنو منها فتدور حوله ، ثم تتحد رقصتهما .. كانت ترقص وحدها فصارت ترقص معه .. لاحظت أن يده مضمدة لكن هذا لا يقلل من براعته فى الرقص ..

« حرارة حبنا .. لا أريد معونة كى أشعلها .. »

« فقط أعطينى فرصة كى أبقيها حتى الصباح .. »

« لدى نار فى قلبى .. »

« سرعة خطواتى تزداد .. »

« وإننى لأتوهج فى الظلام .. »

« لذا أنذرك »

حمى الليل .. حمى الليل ... إنها تلهث من الانفعال. هذه لحظات عليا تدنو فيها من الحلم . تلمس السماء ..

تنظر عبر الزحام إلى صديقتها دورا التى جاءت بها لهذا المرقص . تضحك .. دورا كذلك تبدو سعيدة راضية .. معها شاب وسيم يجيد الرقص ...

دوروثى معناها ربة العطايا .. وهى تحمل اسم دوروثى .. أنت فى كنساس حيث يصير لهذا الاسم معنى مهم . الكل يعرف دوروثى بطلة قصة (ساحر أوز) .. لقد كانت دوروثى بطلة القصة تعيش فى كنساس قبل قدوم العاصفة التى حملتها لأرض غريبة مجهولة .. دوروثى بطلتنا من نيويورك ولم تكن تعيش فى كنساس ، لكنها تشعر بأنها ولدت هنا ..

يسألها الشاب وهو يتلوى مع الموسيقا ببراعة :

ـ « ما اسمك أيتها الحسناء ؟ »

ـ « دوروثى »

ـ « فيك .. فيك دانييلز »

ثم دار حولها وقال بصوت عالٍ ليهزم الموسيقا :

ـ « ترقصين ببراعة حقًا ... إن الموسيقا تتحكم فى كل عضلة من جسدك وكل عصب . أنت آلة موسيقية حية .. »

لم تكن تشك فى هذا اللحظة .. كانت فاتنة وتعرف يقينًا أنها كذلك ...

هكذا راحت تمشى لنهاية الممر ثم تعود .. تدور حول نفسها لترتفع أطراف ثوبها الهفهاف لأعلى كأكمام الزهر .. ثم تهبط كأنها مظلة ....

« سيدة المدينة الحسناء »

« تتحرك عبر الأضواء »

« تسيطر على عقلى وروحى .. »

رحلة السيارة والرغبة فى الجنون وانطلاق الشباب . من حق المهندسة الشابة أن تظفر ببعض المرح وأن تجرب حظها فى ولاية جديدة مع أشخاص آخرين .

دورا واسعة الخبرة ، وقد عرفتها على هـذا النـادى حيث ترقص الشياطين ، وحيث يتمايل الجان على ألحان الأبدية . اللحظة التى تلتحم فيها بإيقاع الحياة والبروتوبلازم الأولى منذ الخليقة .. تفقد نفسك وتترك لعلم الفيزياء أن يعبث بذراتك مع دقات الموسيقا ... العلاقة بين دقات الطبول والإلكترونات والبروتونات ..

« حمى الليل .. حمى الليل .. »

« نعرف كيف نصنعها .. »

يدنو منها (فيك) .. يسألها عن برنامجها لهذه الليلة وهو لا يكف عن الرقص . ليست لدى خطط سوى المرح .. لا أستطيع اصطحاب رفاق إلى الموتيل حيث أقيم. صاحبة المكان ترفض هذا .. من تحدث عن الموتيل ؟.. سوف نقوم بجولة فى سيارتى ..

هل تعرفين أن نهر الميسورى قريب جدًا ؟.. سوف أجعلك ترينه ... سوف نكون معًا طيلة الليل ، وسوف تعودين للموتيل مع الصباح ..

الصباح ؟ هل هما ليسا فى الصباح فعلاً ؟ ذلك الخلط اللذيذ فى الساعات كما يفعل عقار الهلوسة بالعقول .. ألا تدرك الليل من النهار معناه أنك سقيم جدًا أو سجين جدًا أو غائب عن الوعى جدًا ..

أو منتشٍ جدًا ..

« أصغ للأرض .. »

« ثمة حركة من حولنا »

« ثمة شىء يهبط »

« أستطيع أن أشعر به .. »

« فوق موجات الهواء .. »

« يوجد شىء هناك .. »

تبتعد قاصدة المنضدة التى تراصت عليها المشروبات . شاعرة أن النار تخرج من جوفها ، وأن بوسعها شرب الميسورى كله . تشرب كأسًا .. كأسين .. قلبها يخفق .. أنفاسها تتقع .. لا شك أن الدم يوشك على الانفجار من خديها ..

تبدأ رقصة أخرى . يسود الظلام المكان .. نظرت للخلف لحظة ، وهنا رأته .. فيك الوسيم الذى كان معها ، وهو يتأهب للرقص . ثمة شىء غريب .. يخيل لها للحظة أنه متوهج .. يضىء بنور أزرق غريب. يا لكثرة خدع الضوء !... ولا شعوريًا تذكرت المقطع

« وإننى لأتوهج فى الظلام ..

« لذا أنذرك .. »

ثم عادت الأضواء المذهلة التى تغرقك فى بحر من الهلاوس. وعاد (فيك) يرقص .. نهضت ومشت نحوه وهى تتابع الأغنية بجذعها وساقيها .. من الجميل أن يلقى المرء من يتوهج فى الظلام ، خاصة لو كان هذا حقيقيًا .. لكنها ليلة الأحلام .. لا شك فى هذا ..

★ ★ ★

وسط العزف والموسيقا ترى دورا تلوح لها .. تقول أشياء .. لا تسمع حرفًا من كلامها ..

تبتعد عن (فيك) لتدنو منها وهى لا تكف عن الرقص .. إنها الفيزياء يا صديقى حيث لا يمكنك السيطرة على الموجات الترددية ...

ـ « ماذا تقولين ؟ »

ـ « قدماه .. »

ـ « ماذا تقولين ؟ »

ـ « قدما الشاب الوسيم الذى ترقصين معه .. »

ثم تبتعد دورا مع الإيقاع وتدور حول نفسها .. دوامة ثم تدنو منها من جديد لتواصل الكلام :

ـ « هل لاحظت ؟ عندما يرتفع البنطال قليلاً .. يخيل لى كأنه يرتدى ثوبًا داخليًا من الشعر .. »

تضحك دوروثى احترامًا لظرف صديقتها وترفع يدها لتطقطق بأناملها ، بينما ضوء أحمر يغمر الراقصين .. ضوء من الطراز الذى يؤذى العينين إياه ..

تقول دورا بلهجة عابثة :

ـ « وركبته تنثنى للأمام .. ألم تلاحظى هذا ؟ »

ـ « إنه رشيق .. لا أكثر .. »

وتنظر دوروثى للوراء فترى (فيك) الوسيم يرقص ويهز شعره الجميل .. يمد يده لها يتعجلها .. فتقول دورا :

ـ « هل تعرفين قصص الرعب الشهيرة عن الرجل الذى يقابل فتاة لها قدما ماعز وحوافر ؟ يبدو لى أن الوضع مقلوب هذه المرة ... »

ضحكت دوروثى فى عصبية فقالت دورا :

ـ « نصيحة .. لا تدعيه يلمسك قبل أن ينزع الحذاء .. لن أندهش لو وجدت أنه ذو حافرين .. لن أندهش كثيرًا كذلك لو وجدت له ذيلاً .. »

أخرجت دوروثى لسانها لتغيظ صديقتها ثم عادت بخطوات راقصة إلى حيث كان (فيك) يرقص ..

سألها وهو يتمايل :

ـ « ماذا هنالك ؟ »

ـ « لا شىء .. بلاهة فتيات .. »

ودارت حول نفسها ثم نظرت لقدميه .. بالفعل كانت الركبة تنثنى إلى الأمام وليس للخلف ... لقد رأت هذا المنظر لدى أشخاص كثيرين ممن يتمتعون بمرونة غير عادية .. (فيك) شخص رائع .. ولو أرادت أن تنتظر حتى تجد شخصًا وسيمًا مثله تنثنى ركبته للخلف فقط فسوف تنتظر طويلاً ..

توهجه باللون الأزرق .. ملاحظة لا قيمة لها ..

ركبته تنثنى للأمام وساقه مشعرة . . ملاحظة لا قيمة لها ..

هذه سخافات هستيرية .. هى فتاة وتعرف يقينًا أنها هستيرية ..

الليلة ستكون ليلة غير مسبوقة .. تشعر بهذا ..

الجزء الأول

رجال الريح

يحكيه رفعت إسماعيل

- 1 -

هكذا يجدر بك عندما تضل الطريق ، أن يكون هذا بقرب مكان يوفر الطعام والشراب والوقود والمأوى والهاتف .. شروط عسيرة هى ... بعبارة أدق : لا تضل طريقك أبدًا ..

★ ★ ★

قال رفعت :

تنطلق السيارة عبر الطريق السريع العملاق .

النوم يداعب عينى .. يتسلل ليجعل ثقل جفنى طنين ، ورأسى يزن قنطارًا ... ألقى نظرة جانبية لأرى هارى شيلدون - صديقى مهندس الكمبيوتر الأمريكى - يقود وقد بدت عليه الجدية ، وقد ثبت عينه على الطريق .

لن يحدث حادث .. لن يضيعنا بينما زوجته الحبيبة ليندا وابنه جيمى نائمين فى المقعد الخلفى . من أجل هذين سننجو ولن نموت ، فهما لا يستحقان الموت .. أما لو كنت وحدى فالموضوع مطروح للنقاش ..

هكذا يداعب النعاس عينى .. صوت أغنية ينبعث من المذياع :

فى طريق صحراوى مظلم ..

تتخلل ريح باردة شعرى ..

ورائحة (كوليتاس) دافئة

تتزايد فى الهواء ..

ثم يوقظنى صوت هارى وهو يتكلم محاولاً ألا يوقظ النائمين :

- « هذا هو الطريق 166 .. الطريق الوحيد الباقى من طرق 66 الشهيرة .. لقد انتهى الطريق 266 طريق أوكلاهوما ، و 366 و 466 انتهى فى السبعينيات .. »

سألته وأنا مغمض العينين :

- « هل تعنى الطريق 666 ؟ »

ضحك وقال :

- « بل 166 .. لقد انتهى الطريق 666 واضطرت الحكومة لتغيير اسمه إلى 491 .. المشكلة أن الناس كانت تتشاءم من هذا الطريق .. يتكلمون عن اختفاء السيارات ونسب حوادث مهولة .. السبب أن 666 هو رقم الشيطان كما تعلم .. »

قلت دون أن أفتح عينى :

- « الرقم الصحيح هو 616 .. حدث خطأ فى الترجمة من الأصل العبرى .. »

ضحك حتى سعل وقال :

- « أنت دقيق حتى وأنت غافٍ .. كان الطريق 666 مشكلة بالفعل وأطلقوا عليه (طريق الشيطان) .. وكان الناس يسرقون اللافتات التى تغرس فيه على سبيل التطير .. فى النهاية اضطرت الحكومة لتغيير الاسم حتى يستعمله الناس .. »

الطريق 166 هو طريق يربط جوبلين بولاية ميسورى بساوث هافن فى كنساس ..

لم أر كنساس من قبل .. فى الواقع يمكن القول إن الولايات المتحدة هى أقل بلد غربى زرته فى حياتى . لا توجد بينى وبينها قصة غرام مفقودة . لم أنبهر بها قط وشعرت أنها بلد صناعى أكثر من اللازم .. كبير أكثر من قدرتى على الاستيعاب .. سريع أكثر من قدرتى على الحركة ..

لكن لى أصدقاء حميمين هناك ، أضع على رأسهم هارى شيلدون طبعًا .. هناك النصاب اليهودى الظريف كولبى .. على كل حال كان رأيى طيلة حياتى أن كل أمريكى رائع فى حد ذاته ، لكن عندما يتحولون لدولة وحكومة تبدأ المشاكل ..

يبدأ الأمر ككل مرة بمؤتمر طبى ، ثم يتحول الأمر إلى جولة أو رحلة معينة .

اعتدت عندما أصل إلى الولايات المتحدة أن أتصل بصديقى الحميم العتيد (هارى شيلدون) خبير الكمبيوتر . لا شك أن القارئ اعتاد مزاجه الغضبى واندفاعه واستعماله عضلاته فى كل شىء ، لكنه كذلك رقيق يملك قلب طفل فعلاً . كانت لنا قصة طويلة مع الزومبى فى جاميكا ومع دمى الفتيش .. الأم مارشا .. ساحرات الفودوو .. بلدة يتحول أهلها لحشرات .. أريزونا .... إلخ ..

ذكريات !!

والأغنية مستمرة :

على البعد أمامى

رأيت ضوءًا يومض ..

كان رأسى ثقيلاً وكنت أشعر بإحباط ..

كان على أن أتوقف لقضاء ليلتى ...

كنت فى ميسورى أولاً ، وقد جاءنى هناك مع أسرته وعرض على أن نقوم بهذه الرحلة .. سوف يأخذنى إلى ويتشيتا Wichita .. اسم غريب جدًا يوحى بالساحرات .. لكنها أكبر مدن ولاية كنساس ..

هناك جامعة ويتشيتا وهى جامعة مهمة يجب أن تزورها ـ هكذا قال لى ـ وهى كذلك مصنع طائرات كبير .. لهذا يسمونها (عاصمة السماء) .

ـ « هذه بلدة مهمة فى التاريخ الأمريكى ويجب أن تراها .. »

بصراحة سئمت التاريخ الأمريكى الذى يحول كل مناسبة صغيرة إلى عيد أو ذكرى تاريخية مهمة . يلقى بعض الثوار الشاى فى البحر فيصير هذا يوم حفل الشاى فى بوسطون .. يجد بعض المهاجرين سرب ديكة رومية فيأكلونها ، فيصير هذا عيد الشكر .. ينطلق رجل على جواده يحذرهم أن البريطانيين قادمون فتصير هذه مسيرة بول ريفيير ..

طبعًا بالنسبة لمصرى مثلى ؛ حيث كل حجر له تاريخ يتجاوز 4000 سنة . فإن هؤلاء القوم يمزحون . أى صخرة فى المتحف المصرى يمكن

لجامعة أن تنشئ حولها متحفًا كاملاً ، ولعل هذا هو سبب (البطر) الذى يدفعنا لتدمير آثارنا ومعاملتها بإهمال . سيذكر التاريخ أننا أول شعب يستعمل المومياوات الفرعونية للطهى لأنها تشتعل أفضل من الخشب !. طبعًا مع تحفظى الشديد على طعم الحساء الذى يُطهى على مومياء ...

لكن هارى مضيفى وليس بوسعى أن أجرح شعوره ..

بدأ المطر يهطل بشكل خفيف لكنه فعال ، وبدأ الزجاج يكتسى بالقطرات .. لا يحجب الرؤية لكنه يدفعك للتوتر خاصة مع سرعة السيارة الجنونية ..

قلت لهارى بصوت مبحوح :

ـ « هكذا يبدأ ٩٠ ٪ من أفلام الرعب المسماة (رعب الطرق السريعة) . سوف يلحق بنا رجل شرطة بسبب إسراعنا ، ويرغمنا على دخول بلدة لا يعرفها أحد كى نقابل القاضى .. غالبًا سوف نكتشف أنهم مجانين أو هم موتى أو هم زومبى أو هم أكلة لحوم بشر أو أتباع دين وثنى غامض .. الخلاصة أننا ذاهبون إلى حيث لا عودة .. »

ـ « أنت وخيالك المريض !! »

قالها فى غيظ وواصل القيادة بنفس السرعة ..

قلت له فى كياسة :

ـ « تذكر أن هناك أسرة تنام فى المقعد الخلفى ، إن لم تكن تبالى بالأحمق الذى يجاورك .. »

ـ « هذا أدعى لأن تطمئن .. لن أقتل أسرتى كى أخيفك .. »

ـ « لتكونن أسخف مزحة رأيتها فى حياتى »

رحت أراقب معالم الطريق المرعبة .. اللافتات التى تمر بنا مسرعة .. غزال أو وعل يركض من بعيد .. شبكة الطرق الأمريكية المرعبة .. الليل .. قطرات المطر الواهية ..

أشعر بقشعريرة ..

كأنه شعر بتوترى قرر أن يسلينى قليلاً :

ـ « هل رأيت الفتى الجبار حينما عبر السماء الآن ؟ الفتى الجبار تربى فى (سمولفيل) هنا فى كنساس قبل أن يصير سوبرمان !! »

لم أكن أعرف هذه المعلومة .. سوبرمان نشأ فى كنساس ؟ لنا الفخر ..

قال هارى وقد لاحظ دهشتى :

ـ « دوروثى بطلة ساحر أوز من كنساس !.. وهنا تدور أحداث قصة بيت صغير فى البرارى .. »

كل هذه المعلومات .. هذه ولاية مهمة إذن .. فيما بعد سوف أعرف عنها تفاصيل أكثر لكن ليس الآن .. أنا راغب فى النوم .. سوف أسمع الكثير فلا أستوعب شيئًا ... أعرف هذا ..

لكن هارى مصمم على أن يسكب حمله فى أذنى :

ـ « هذه الولاية سميت نسبة لقبيلة (كانسا) الهندية التى كانت تعيش هنا .. ومعنى اسم القبيلة هو (رجال الريح) »

الحق أنه اسم جميل له إيحاء ساحر .. كما عرفت فيما بعد أن قبائل النافاهو الهندية يسمونهم (الهامسون فى الريح) . شاعريون هؤلاء الهنود الحمر فعلاً .

بدأت أغفو ..

بدأت أرى كفر بدر وأمى يرحمها الله .. بدأت أرى ماجى .. لا بد أن النوم نوع من الموت فعلاً ، لأن بانوراما حياتى كلها دارت أمام ناظرى ... تفتح عينك فترى صورة ضبابية للطريق ثم يسقط الجفن الثقيل مدويًا ... طان !!..

دكتور لوسيفر .. جانب النجوم .. عزت .. كولبى ... أبراكساس ... ليليث ..

هل هذه طائرة هليوكوبتر تحلق فى الأفق ؟ وسط الظلام وقطرات المطر .. لا شك أن الطيار أحمق ويخاطر جدًا ..

وفجأة سمعت (هارى) يطقطق بأسنانه ، ففتحت عينى ..

رأيته ينظر للمرآة الخلفية ، ورأيت انعكاس النور على قسماته .. هناك سيارة مضيئة تلاحقنا ..

ثم سمعت صوت السرينة .. ورأيت ملحمة الألوان ..

ـ « قلت لك إننا سنقع فى قبضة شرطة المرور .. »

أطلق سبة وشغل إشارة الاتجاه لليمين ...

كنت أفهم سبب إسراعه .. الملل القاتل .. الرغبة فى أن ينتهى هذا كله . لو كنت مكانه لفعلت ذات الشىء ...

لكننا قد صرنا فى ورطة .. إن فيلم الرعب يبدأ مبكرًا هذه المرة . فلتقطع ذراعى إن كان هذا الشرطى طبيعيًا . الحياة ليست بهذا الجمال . تأهبوا لأسوأ الاحتمالات .

- 2 -

ما كان لى أن أعرف أنه قبل ذلك بساعة ، كانت طائرة الهليوكوبتر الخاصة بالجيش الأمريكى تحلق فى السماء .. وقد أدرك الطيار (جون مكوود) أن الجو يزداد سوءًا وأن قطرات المطر تحتشد على الزجاج ..

قال (بول) عبر سماعات الأذنين :

ـ « أعتقد أن علينا أن نعود .. »

لم يرد ماكوود وواصل النظر عبر الزجاج .. يشعر بعدم راحة بسبب كرشه الذى يضغط على حجابه الحاجز ، ويشعر برغبة قوية فى الخلاص من هذه السترة الثقيلة التى تعوق تنفسه ..

ظلام دامس على الأرض .. لا توجد أضواء سوى ضوء سيارة من آن لآخر على الطريق 166 .. هناك سيارة تندفع بسرعة هائلة .. يبدو أن السائق ثمل أو بالغ التهور ...

واصل الدوران حول المنطقة ، ثم ارتفع بالطائرة وقال لزميله :

ـ « بالفعل لا جدوى .. أعتقد أنهم يهذون .. »

وتعالت ضوضاء المحركات بينما الطائرة تبتعد عائدة إلى القاعدة قرب ويتشتيتا .. كأنها طبق طائر مضىء فى الظلام ......

قال له بول وهو يرفع صوته بسبب المحركات :

ـ « هذا البلاغ يتكرر من وقت لآخر .. أعتقد أنها هستيريا جماعية دائمة .. »

ـ « ليس لدينا شىء يقال فى التقرير .. »

★ ★ ★

هكذا عندما راحت المحركات تخفق ، وتحدث صخبها اللعين ، كانت الطائرة تهبط فى المطار العسكرى وكان المطر قد بدأ ينهمر بشكل واضح .. لم تعد مجرد قطرات ..

ترجل مكوود وهو يحمل لوح الملاحظات تحت إبطه ، ثم فك الخوذة .. ومشى مسرعًا وهو يضم سترته على صدره نحو مكتب القائد قبل أن يبتل تمامًا ..

كانت الساحة خالية فى الظلام سوى من أشباح طائرات تقف كديناصورات غافية تحت المطر .. المطر جعل الجميع يتوارون ..

مكتب القائد كان دافئًا مريحًا ، وكان هذا يدخن السيجار وأمامه إناء ساخن ملىء بالقهوة .

أدى له التحية العسكرية ثم قال :

ـ « لا شىء كالعادة يا سيدى .. »

نظر له القائد بعينيه الزرقاوين الباردتين وعاد يسأل :

ـ « هل فتشت المنطقة جيدًا ؟ »

ـ « ككل مرة يا سيدى ... المعالم هى ذاتها .. خاوية فى الظلام .. »

حك القائد رأسه مفكرًا .. صب لنفسه بعض القهوة ونظر إلى النافذة حيث كان المطر ينهمر بلا توقف ، فيشوه الموجودات كلها .. ثم قال :

ـ « هذه الأضواء غامضة فعلاً .. فى كل مرة تأتى التقارير من السيارات على طريق 166 .. إنهم يرون أضواء بلدة ليست على الخارطة ، ثم تتكلم الطائرات عن أضواء مدينة صغيرة لا شك فيها .. »

وتفحص بعض الصور الفوتوغرافية أمامه وغمغم :

ـ « كل محاولات الاستطلاع التى قام بها سلاح الطيران لم تجد شيئًا .. لا يوجد شىء على الإطلاق .. »

ـ « لكن الظاهرة متكررة »

قال القائد فى شرود :

ـ « هذه على الأرجح ظاهرة فورتية Fortean بلا تفسير .. تشبه أضواء بنسلفانيا الغامضة التى لم يجد العلم تفسيرًا لها .. تذكر كلام كيلفورد ستون عن الأطباق الطائرة عام 1969 .. هذه أضواء واضحة وظهرت فى الصور فعلاً من دون تفسير علمى . وما زلنا حتى اليوم لا نعرف ما يدور هناك »

ثم أضاف بعد تفكير :

ـ « لا يوجد فى المنطقة التى نتحدث عنها أى شىء .. طريق سريع طويل وبعض أشجار .. يجب أن نقبل هذه الحقيقة ولا ندع هواة النظريات الغامضة يخربون منطقنا العلمى .. »

كان المطر يزداد ثقلاً ..

فكر فى الطريق 166 وخطر له أن هناك بؤساء تتدفع سياراتهم فى الظلمة تحت الأمطار .. من المخيف أن يقودوا فى الظلام ، لكن من المخيف أكثر أن ترى أضواء من موضع لا وجود له على الخرائط ..

- 3 -

كذلك لم أعرف أن أميمة جونز قد اعترفت بحبها لويليام أخيرًا ..

أنت تعرف أن أميمة ولدت فى مصر لأم مصرية وأب أمريكى ، ومن الواضح أنها جاءت للولايات المتحدة فى أوائل السبعينيات ، وهى تقيم فى هذه البلدة منذ ذلك الحين .. هكذا يمكنك أن تعرف مصدر الاسم العربى ...

كان ويليام ويلسون يعمل فى محطة الوقود . وهو شاب أمريكى وسيم نوعًا باستثناء عيب خلقى صغير فى أذنه وأسنان مهشمة ، وإن قال البعض إنه يبيع الماريجوانا والمخدرات بأنواعها ..

أميمة لم تهتم بهذه التفاصيل ..

أميمة تملك مطعمًا صغيرًا فى البلدة . فى بلدة كهذه يعرف كل واحد كل واحد وكلبه (على رأى الأديب الساخر مارك توين) ..

إنها فى الرابعة والعشرين ، على قدر من الجمال كما لك أن تتوقع عندما يمتزج الجمال العربى مع الجمال الغربى .. العينان العربيتان القناصتان .. لا يمكن الهروب منهما .. إنها نهايتك . وهى كذلك وحيدة جدًا ...

من الصعب فى بلدة صغيرة كهذه أن يجد الرجل فتاة تصلح ، وأن تجد المرأة رجلاً يصلح .. لهذا كان من الطبيعى أن يلتقى هذان ..

الحياة مملة ورتيبة .. لا شىء يحدث .. نفس الوجوه ونفس العلاقات . لا شىء يضفى إثارة على الحياة سوى حفلات الرقص فى النادى الصغير بالمدينة ، وهو نادٍ قد فقد الكثير من سحره بسبب عدم التجديد ، لكنه كان منتعشًا فى الماضى حتى أنه ليذكر الناس بفيلم (حمى مساء السبت) لجون ترافولتا ، لكنه اليوم صار أقرب لمرآب تعزف فيه موسيقا خشنة ..

على كل حال التقيا أكثر من مرة فى ذلك النادى ورقصا ..

يشبه الأمر أن تكتشف فجأة أن ابنة جارك التى نشأت معها منذ طفولتك حسناء . اللحظة التى تتراجع فيها للخلف فتدرك أنك لو نظرت لها نظرة مختلفة لبدت لا بأس بها ..

هكذا لاحظ للمرة الأولى أن أميمة جميلة ..

هكذا لاحظت هى أن الفتى وسيم ..

كانت لديه سيارة نصف نقل قديمة عتيقة ولديه كلب مسن ظريف ، وقد أخذها بالسيارة إلى النهير المجاور للبلدة .. نظر للمياه المترقرقة فى جو الغروب وكان صدره يعلو ويهبط بلا توقف .. الانفعال يحبس صوته .. يمكنك أن تدرك بسهولة أن قلبه ينبض فى فمه .

قال لها :

- « أميمة .. أنا أرغب فى أن تقاسميني حياتى »

نظرت له مفكرة ..

الزواج قرار صعب جدًا عند الأمريكيين ويحتاج لفترة طويلة من التفكير ، لكنها كانت تدرك أن الفرص فى المدينة الصغيرة محدودة جدًا ...

ويليام ليس سيئًا .. يمكنها أن تقبل الحياة معه برغم أسنانه المهشمة وأظفاره المسودة .. له أذن ملتصقة لكن يمكن التعايش معها ..

قالت له :

ـ « سنتكلم بصراحة ... »

ـ « هذا ما أريد .. »

ـ « موضوع بيع الماريجوانا .. قيلت أكثر من مرة من شباب المدينة .. »

احمر وجهه وضرب تابلوه السيارة بقبضته وهتف :

ـ « التشهير !... دائمًا التشهير !... لا بد لكل شخص من أعداء .. »

ـ « لدرجة اتهامه ببيع الماريجوانا ؟

ـ « لدرجة اتهامه بقتل كنيدى لو أردت .. »

ثم ابتلع ريقه وهمس :

ـ « أنت فتاة حسناء ومن مصلحة أكثر من فتى هنا أن يشوه سمعتى .. الكل يريدك .. »

لكنها كانت تدرك أفضل .. البلدة صغيرة جدًا .. أصغر من أن تتضخم فيها الشائعات . الشائعات تحتاج لفراغ ليتردد الصدى فيه فتتضخم .. تحتاج لمساحات وأعداد كبيرة من البشر . أما هنا فلا يوجد مجال للتضخم . غالبًا ما يقال هو حقيقى ..

لكنها كانت معجبة به وكانت راغبة فى أن تنخدع فعلاً ..

هكذا اعترفت بأنها تحبه .. وهكذا ابتاع لها خاتم الزفاف من متجر ميردوك الذى يبيع كل شىء ...

★ ★ ★

حفل الزفاف كان بسيطًا جدًا . حضره عشرون شخصًا من البلدة ، وأقيم فى حديقة بيت ويليام الصغير .. وكان أبوه موجودًا وهو رجل مسن لطيف تصدق بصعوبة أن فيه قلبًا يخفق ، وجهازًا عضليًا يتحرك ..

القس كذلك كان هناك وقد بارك الزواج ، وإن أبدى بعض تعليقات جانبية تدل على أنه يتوقع أن يستقيم ويليام .. ويكف عن .. ويكف عن ماذا ؟ . لا تعليق ...

لقد صارت زوجته .. وصار اسمها أميمة ويلسون ..

إنها سعيدة .. إنها فخور ..

يمكن للفتاة دومًا أن تحب أى شاب بأذن ملتصقة إذا كان يحبها ...

لكن الحياة ليست فندقًا مهمته إسعاد النزلاء . لقد كانت البلدة صغيرة جدًا وبيتهما أصغر من أحلامهما .. كانا فقيرين معوزين .. وبدأ ويليام يزداد عصبية . العصبية تحولت لغضب .. الغضب صار سبابًا .. السباب كان يصل لدرجة الضرب أحيانًا ...

لم تصدق فى البداية ثم أدركت أنها الحقيقة ..

ثمة علامات كذلك تدل على أنه يعاقر الشراب ليلاً ، وعلى الأرجح يبيع الماريجوانا كعهده لشباب المدينة . يبدو أنه يحصل عليها من الخارج ..

ثم جاءت لحظة الانفجار ..

لقد فشل هذا الزواج بسرعة البرق ، ولما تمر عليه ثلاثة أشهر .. هذا رقم قياسى .. حتى الذين يطلّقون بعضهم بعد يومين من الزواج لا يحملون لبعضهم درجة الكراهية هذه ..

لقد كانت الكراهية مستعرة بينهما ..

ـ « عجفاء .. »

ـ « وغد .. »

ـ « حمقاء .. »

ـ « مدمن مخدرات .. »

ـ « قذرة .. »

ـ « عربيد .. »

يتصاعد الإيقاع ويعلو بطريقة الكريشندو الشهيرة .. أليجرو .. بريستو .. سيمفونية تتعالى بسرعة ثم تنتهى بالصفعة من ناحيته .. ثم تفووه !.. تنتهى بالبصقة من ناحيتها .. ثم الركلة من جانبه ..

دخلت غرفة النوم الفقيرة المبعثرة ، ووقفت ترمق وجهها المتورم فى المرآة ..

أميمة الجميلة لم تعد جميلة .. خدها متورم ونظرة ذعر فى عينها كالحيوان الجريح .. لقد اعتصر الوغد نضارة شبابها خلال ثلاثة أشهر .. إنه لعبقرى ..

تحسست موضع الصفعة ثم همست بصوت كالفحيح :

ـ « الوغد .. سوف أقتله .. أعرف أننى سأقتله »

كانت الفكرة تختمر فى ذهنها يومًا بعد يوم .. وصارت تتحمل إهاناته وتختزنها فى لذة لأنها ستضحك أخيرًا ، ولسوف تستمتع بكل لحظة تمضيها فى قتله ..

يعود ليلاً .. يعود كل ليلة فيطلب منها علبة بيرة ثم يسبها لأنها ليست مثلجة ..

الليلة سوف تقدم له علبة بيرة باردة ، لكنها مفتوحة . سوف يشربها بلا نقاش .. والجديد هو أنها ستذوب فيها عشرة أقراص من الفاليوم ...

يجب أن تنام الآن لأن الليلة ستكون حافلة ...

* * *

الانتقام طبق يجب أن يقدم باردًا ... لكن ماذا لو قُدم ساخنًا ؟؟؟

- 4 -

لم أعرف هذا كله وأنا فى السيارة جوار هارى عندما توقفت السيارة خلفنا ..

سيارة الشرطة بهيبتها الأمريكية المعروفة ، وقبضة القانون الصارمة التى لا تمزح ..

الأضواء تدور وتدور ... ولحظة صمت مقلقة ، ثم ينفتح الباب ويترجل رجل الشرطة .. يمشى فى تؤدة تحت المطر الخفيف نحو النافذة جوار هارى ، ثم ينحنى لينظر لنا وما يدور فى المقعد الخلفى . له وجه بشرى لحسن الحظ وبلا أنياب ... فى آخر قصة قرأتها من هذا الطراز لم يكن لشرطى المرور وجه . هو مجرد رجل ذو شارب كث وأقرب إلى الامتلاء . كان يحمل كشافًا لكنه لم يسلطه على وجوهنا لتحطيم الأعصاب لحسن الحظ :

- « معك أسرة كذلك ؟ لا يبدو أنك قلق عليها .. »

قالها بصوت رزين ، ثم :

- « أنت تقود بسرعة مجنونة .. أريد رخصتك .. »

لم يتكلم هارى ولم يقدم أى أعذار .. فقط ناول الرخصة للشرطى .. تأملها هذا الأخير للحظة ثم قال :

- « أرجو أن تتبعنى .. »

هذا ما كنت أتوقعه . لذا انحنيت بدورى لأخاطبه وقلت بلهجة أقرب للتوسل :

ـ « سيدى .. يمكننا أن ندفع غرامة سرعة .. »

فى الحقيقة كنت سأدفعها أنا .. فأنا غراب البين الذى من أجله خرجت هذه الأسرة اللطيفة ، وليس من العدل أن يدفع هارى ثمن استمتاعى ..

لكن الشرطى قال وهو يوجه الكشاف نحوى ليعمينى :

ـ «لا أستطيع فرض غرامة .. لا بد من عرضكم على القاضى وهـو يقرر .. »

هذه هى البداية الممتازة لكل أفلام رعب الطرق السريعة التى أعرفها .. سنؤكل الليلة أو نذوب فى الشمع .. لا شك فى هذا .. هنا فتحت ليندا عينيها للمرة الأولى وصاحت :

ـ « هارى ماذا يدور هنا ؟ »

قلت لها مطمئنًا بصوت لا يسمعه الشرطى :

ـ « لا تقلقى .. سنبيت الليلة فى مدينة يسكنها عبدة الشيطان أو ما هو أسوأ .. هذه أشياء تحدث .. »

اتسعت عيناها فى غباء ولم تفهم ..

كان هارى متوترًا بالفعل ومزاجه غاية فى السوء ، لكنه أشار للشرطى كى يتقدمنا .. ثم سأله :

ـ « هل توجد مدن قريبة ؟ لم أر أى علامة هنا .. »

قال الشرطى وهو يجفف البلل الذى غطى وجهه :

ـ « أشلى ... أركنساس ... بلدة صغيرة لكنها تحترم القانون .. والآن اتبعنى .. »

ظل هارى متجمدًا خلف المقود للحظة وأطلق السباب ، فلما تحركت سيارة الشرطى وأضواؤها تتوهج دعس دواسة البنزين وانطلقنا وراء سيارة الشرطى ..

قالت ليندا من المقعد الخلفى :

ـ « أنت مجنون يا هارى .. لا شك أنك خرقت دستة من قواعد القيادة»

لم ينظر للخلف وقال فى غيظ :

ـ « كان لدينا ما يكفى من مشاكل .. على كل حال سننهى هذا بسرعة يا صغيرى ثم ننطلق إلى ويتيشيتا .. »

انحرف الشرطى فى طريق جانبى على اليمين ..

هل توجد لافتات ؟ لا أرى أى لافتة .. نحن نمشى فى أرض مجهولة مظلمة تمامًا .. وأشعر بعدم راحة ..

سألت هارى فى حذر :

ـ « ماذا لو غافلنا هذا الأحمق وهربنا ؟ »

ـ « ورخصتى معه ؟ » ـ قالها فى ضيق كأنه يبصق ـ « سوف تنفتح على أبواب جهنم .. سوف أمضى بقية حياتى فى السجن .. »

لذت بالصمت .. الحقيقة أن معه بعض الحق . لا يمكن أن أطلب منه دخول السجن لمجرد أننى لا أرغب فى زيارة تلك المدينة الغامضة .. هذه مبالغة فى مجاملة الأصدقاء .

أضاءت ليندا ضوء الصالون ، وهرشت شعرها الأشقر وتثاءبت فبدت مثل ميدوسا ، وطلبت منى أن أناولها ترموس القهوة الذى وضعته فى التابلوه ، وهى حريصة على أن تملأه من كل كافتيريا نقابلها . صبت لنفسها بعض القهوة ثم فتحت بيد واحدة خارطة مطوية من الطراز الذى يستحيل أن تعيده لحالته الأصلية بعد فتحه ، وراحت تفتش بإصبعها .. ثم قالت :

ـ « لا توجد بلدة اسمها أشلى هنا .. »

لم نكن فى ذلك الزمن قد سمعنا بتلك الاختراعات الشيطانية مثل الـ GPS وخلافه .. وبالتأكيد لم يكن الأخ جوجل قد ولد بعد (أنا أمزح .. أعرف أنه ليس رجلاً) .. لهذا كانت الخارطة هى السبيل الوحيد .. (*)

قال هارى فى غيظ :

ـ « لا بد أنها فى حجم علبة التبغ .. العادة الأمريكية السخيفة . كلما اجتمع خمسة أشخاص أطلقوا على أنفسهم اسم مدينة .. »

ثم قال لى مفسرًا :

(*) لمسات كهذه هى لمسات المؤلف طبعًا .. فرفعت لم يسمع عن جوجل ولم يذكره فى الأوراق !!

ـ « أحيانا تكون تلك المدن فى الماضى ملتقى للباحثين عن الذهب الذين لا يجدون ذهبًا ، أو الفلاحين الذين يكتشفون بعد فترة أن التبغ والقمح لا ينموان فى تلك التربة ، وهكذا تخلو المدينة تمامًا بعد فترة ، ما عدا بعض العنيدين أو الكسولين غير الراغبين فى الانتقال .. »

ـ « وهذه المدن لا توضع على الخارطة ؟ »

ـ « عمليًا هذا مستحيل . لكنه وارد»

ورحنا نراقب أضواء سيارة الشرطى التى تتوهج فى الظلام ..

لقد توقفت قطرات المطر على كل حال .. وأوقف هارى المساحات ..

★ ★ ★

أخيرًا تمشى السيارة فى شارع مظلم خالٍ من بلدة أمريكية صغيرة ..

هناك محطة وقود صغيرة ، وهناك كافتيريا تتوهج داخلها أضواء .. صالون حلاقة .. مكتب بريد .. كلها أماكن مغلقة باستثناء الكافتيريا .. واضح أن الجميع قد ناموا ..

ورأينا لافتة صغيرة كتب عليها (موتيل) .. فندق سيارات وإن كان من الغريب أنه ليس على الطريق . قالت لندا لهارى وهى تريح رأس الصغير على صدرها :

ـ « يمكن أن نبيت هنا بعد انتهاء مشكلة الشرطى .. »

تنهد فى عمق ورفع خصلات شعره الأشقر التى غطت عينه وقال :

ـ « لن يكون .. أريد الابتعاد عن هذه البلدة القذرة بأسرع وقت .. أريد رؤية الطريق 166 من جديد .. »

ـ « لكنك مرهق .. لقد أتعبتك القيادة .. »

ـ « رفعت سوف يتولى القيادة حتى الصباح .. »

يا لها من أريحية !...

أنا لم أعرض شيئًا ولم أطلب شيئًا .. لكنه يمارس تقنية (زغرطى ياللى ما انتيش غرمانة) الشهيرة .. على كل هذا من حقه. فقط لننته من هذه المشكلة .

الجو العام يذكرنى بمغامرة قديمة رهيبة خضتها مع هارى فى الأريزونا منذ أعوام . بلدة كان أهلها يتحولون لحشرات .. كاتى ديد .. كاتى ديد . لكن من حسن الحظ أن هذه الأمور لا تتكرر ... لا يجب أن تجد مصيبة فى كل بلدة أمريكية صغيرة ..

سيارة رجل الشرطة تنطلق بسرعة الرجل العادى فى شوارع المدينة ونحن نتبعها. رأينا لافتة كتب عليها :

مدينة أشلى
بسكانها الخمسمائة
ترحب بكم

خمسمائة !!! .. لدينا فى مصر عمائر تحوى الواحدة أعدادًا أكبر من هذا .. رمسيس الثانى كان لديه مئة ابن وبنت .. كثافة هؤلاء الأمريكان فى بلادهم قليلة فعلاً ..

أخيرًا تتوقف سيارة الشرطى أمام بيت من طابقين له حديقة صغيرة ، ومدخل فيه مقعد هزاز .. وترجل الشرطى ثم أشار لنا كى نترجل بدورنا .....

ـ 5 ـ

هكذا وجدنا أنفسنا فى محكمة صغيرة بحجم فصل دراسى .. هناك (دكك) وهناك منضدة عالية نوعًا وهناك علم ولايات متحدة رثّ معلق .. وهناك النسر الأمريكى الحكومى الشهير .

فهمت القصة .. فى هذه البلدان الصغيرة تكون المحكمة مرآبًا تحت البيت الذى يسكن فيه القاضى . لا يقتضى الأمر سوى أن يوقظوه فيغسل وجهه ثم ينزل فى الدرج لينفذ القانون .

طلب منا الشرطى أن نجلس .. كنت أنا وهارى وزوجته والطفل .. مجموعة متهمين عجيبة جدًا .. شاب وسيم قوى البنية .. طفل .. كهل عربى أصلع ونحيل كخلة الأسنان .. امرأة منكوشة الشعر نصف نائمة .

ـ « لا تستفزوه فهو عصبى .. اقبلوا الحكم فى صمت .. هذه نصيحتى »

قالها الشرطى ناصحًا وهو يجفف البلل عن وجهه ، ثم نزع الكاسكيت وراح يمسح رأسه ..

ثم توقف فجأة وهتف :

ـ « قفوا لتحية المحترم (آرثر جالواى) قاضى بلدة أشلى .. »

وقفنا بالطبع ، لنلقى نظرة على القادم ..

المحترم آرثر جالواى كان شيئًا صغيرًا مغضنًا أقرب إلى بومة سيئة المزاج بسبب إيقاظها قبل الموعد ، وكان يلبس منامة واضحة تحت الروب

الأسود الذى يرتديه .. وجهه يدل على أنه أحد النسور القانونية . المعادل الأمريكى لظنانة أفندى عندنا فى مصر ..

جلس إلى المنصة الكبيرة فبدا كأنه رأس يطل علينا من هناك بلا جسد ..

كان يرتجف من البرد ، فلا بد أنه كان ينعم بالنوم تحت غطاء دافئ منذ دقائق . وقد نظر إلى الضابط فى ملل منتظرًا كلامه ..

قال الشرطى :

ـ « تجاوزوا السرعة يا سيدى برغم أن اللافتة تحدد السرعة بأربعين ميلًا »

هنا هب هارى مغضبًا وقد فقد التحكم فى أعصابه كالعادة (لم أر هارى مسيطرًا على أعصابه سوى ثلاث دقائق فى حياتى كلها) :

ـ « لافتة ؟ نحن لم نر لافتة لعينة على بعد ١٠٠ ميل من هنا .. هذا قفر لعين »

بصوت متعب كريه قال القاضى :

ـ « أنت تتهم شرطتنا بالكذب إذن ؟ »

تراجع هارى قليلاً وقال بصوت مبحوح :

ـ « أتهم لافتات الطرق عندكم بأنها مبهمة ولا تقرأ .. »

أردف القاضى وهو يكتب شيئًا فى الأوراق أمامه :

ـ « غرامة ألف دولار .. هل تدفع أم تقبل السجن ؟ »

هذه سرقة بالطبع .. مبلغ فادح بلا جريمة واضحة . لا يمكن أن تحدث جريمة من دون نص قانونى أو عرفى تخالفه .. القانون لم يحدد سرعة معينة برغم أن هارى كان يقود بسرعة جنونية فعلاً ..

ـ « هل تدفع ؟ »

نظر هارى للأرض ، وقدرت أنه موشك على الانفجار لكنه يجلس على البركان فى بسالة .. لو رفع مؤخرته قليلاً لانفجر فى وجوهنا .. الهنود يعتقدون أن كالى تجلس فوق بركان شيفا الذى يقذف الحمم ، فلو تزحزحت قليلاً لحدثت انفجارات وسالت حمم ...

ثم إنه تحسس حافظته وأخرجها ، فقال القاضى وهو يوقفه بيده :

ـ « لا .. أنا لا أتقاضى المال .. سوف تدفع فى الصباح بإيصال رسمى لدى سكرتيرة المحكمة »

فى غيظ قال هارى :

ـ « وأين هى ؟ »

ـ « نائمة طبعًا !.. لا أحد يستطيع أن يوقظها ! »

احمر وجه هارى بما معناه (يا للمصيبة) ثم ضرب الأرض بقدمه فى عجز ..

سألت أنا القاضى حتى لا يشتمه هارى وتكون كارثة :

ـ « سيدى .. أين نمضى ليلتنا ؟ معنا امرأة وطفل ، ولا أعتقد أن عدالتكم ستضعنا فى الحجز .. »

نهض وضم أطراف الروب حول صدره وقال :

ـ « بالتأكيد .. سأجرى استثناء من أجل الطفل .. يمكنكم المبيت فى الموتيل حتى الصباح .. »

ثم إنه رفع يده محييًا الشرطى وانصرف من حيث جاء ليعود للنوم طبعًا ...

لما رحل أشعل رجل الشرطة لفافة تبغ كما يفعل المراهقون عندما يتوارى الكبار ، بل إن كرشه تضخم كأنه كف عن امتصاصه للداخل بعد رحيل القاضى ، وقال لنا :

ـ « من الأفضل أن تنفذوا .. إن هى إلا أربع ساعات ويأتى النهار وتصل موظفة المحكمة .. »

ـ « لكننى لم ... »

نفث الشرطى سحابة دخان وقال :

ـ « كان عليك أن تفكر فى هذا وأنت تدعس دواسة البنزين دون تفكير .. »

ـ « مامى .. أريد العودة للبيييييييييييت ! »

كان هذا جيمى الصغير متعكر المزاج بسبب البرد والقلق والمكان الغريب ، فثنت ليندا ساقيها لتضمه لصدرها ..

ـ « سريعًا يا حبيبى .. سريعًا .. »

قال الشرطي وهو يتقدمنا نحو الباب :

ـ « موتيل دوجلاس وزوجته على بعد أمتار .. مكان نظيف .. لا بق .. ماء ساخن .. إفطار .. »

مرحبًا بك في فندق كاليفورنيا

يا له من مكان جميل !

يا له من وجه جميل ..

الكثير من الغرف الشاغرة في فندق كاليفورنيا

في أي وقت من العام

ستجدها هنا ..

أعرف كذلك هذا الجزء .. طبعًا هي لعبة ترويج للفندق ، ولسوف نعرف فيما بعد أن القاضي أو شقيقه هو مالك الفندق .. ربما كان الشرطي ابن القاضي .. ألعاب المدن الصغيرة المجهولة التي لا تنتهي ..

سألته في فضول :

ـ « موتيل في هذه البلدة ؟ هل أنت متأكد ؟ كنت سأقبل أن تكون عانسًا تؤجر غرفة في بيتها ، لكن لا أتصور أن يحقق الموتيل أي أرباح لبلدة لا يراها أحد على الخارطة .. »

نظر لي ولفافة التبغ تتدلى من ركن فمه وبدت عيناه غامضتين في الظلام وقال :

ـ « بالعكس .. الزائرون لا يكفون عن التوافد هنا .. ومعظمهم لا يرحل أبدًا ! »

بدت لي الجملة أقرب إلى التهديد أو النذير .. لكني قررت أن أتظاهر بأنها وعد بقضاء وقت ممتع على طريقة (من يشرب من نيل مصر يرجع ثانية) ..

الليل البارد .. الجو البليل بعد المطر .. الشارع المظلم ما عدا ضوءًا أو اثنين ..

سيارة هاري تقف غافية في الظلام .. الشرطي يمشي نحو البناية التي كتب عليها (موتيل) التي رأيناها لدى المجيء .. يلج مدخلاً مفروشًا بألواح الخشب تصدر صريرًا .. يفتح بابًا من طراز جناحي الخفاش ، ويدخل ونحن وراءه إلى ما يشبه مكتب الاستقبال ..

ـ « هيه !.. بن !! »

لا أحد ..

كان هناك جرس على المنضدة فضربه بقبضته لينبه الموجودين .. بن !!!! ... كأن الجرس ينطق الاسم .. بننننننن !

بعد دقائق ظهر المستر بنيامين دوجلاس من الداخل ..

هو رجل ضخم الجثة له شعر أشقر تساقط أكثره .. وله أسنان بشعة لا تطيق النظر لها ، كما أن احمرار أنفه يدل على أنه مدمن ... لا شك أن كبده صار قطعة دهن كبيرة .. كما أن أعلى ...

بنخالة بيضاء مما يسميه الأطباء Seborrheic dermatitis وهى علامة أخرى على حبه للكحول .

لم ينطق بكلمة بل نظر لنا بعينه الحمراء الجاحظة ، فقال الشرطى :

ـ « هذه المجموعة تريد غرفتين ، وإفطارًا .. سوف يرحلون عند الصباح »

هز الرجل رأسه .. ثم قال فى اقتضاب :

ـ « مئة دولار »

ـ « هذا عادل »

دخل الرجل متثاقلاً إلى الغرفة الداخلية ، وسمعته يهتف :

ـ « نزلاء يا ستيلا ... »

ثم إنه عاد لنا وهز رأسه بما معناه أننا جاهزون ..

نظر لنا الشرطى وابتسم فى رضا وثقة كأنه قد قام بما يجب القيام به ، وحك الكاسكيت قائلاً :

ـ « إلى الغد .. »

طبعاً يعرف أننا لن نهرب .. لسنا من هذا الطراز ، ثم أن رخصة هارى معه ..

قال المستر دوجلاس وهو يتناول مفتاحين ويلقيهما على المنضدة :

ـ « غرفة 3 و 4 فى نهاية الممر .. »

أنت تعرف هذه الموتيلات . صف من الغرف المتلاصقة ولا يوجد طابق ثانٍ .

قال هارى إنه يرغب أولاً فى جلب حقائبنا ، ففيها ما يلزم لقضاء الليل ، وبالفعل عدنا للسيارة الواقفة فى الظلام أمام باب المحكمة / بيت القاضى ، وأخرجنا حقيبتين .. ثم عدنا نتلمس طريقنا إلى الموتيل .

كانت هناك غرفتان . واحدة واسعة مريحة وواضح أنها نظيفة فعلاً ، أما الأخرى فضيقة متسخة الستائر وهناك بقع على الملاءة ، وهناك حوض غسيل ومرآة مكسورة .. هذا النوع من الغرف الذى يناديني ليأخذنى بالأحضان .. طبعًا أنت تعرف من أخذ الغرفة الواسعة المريحة ومن أخذ هذه ..

قال هارى وهو يدخل من باب غرفته الفاخرة الفسيحة :

ـ « سوف نلتقى فى الثامنة صباحًا لنتذوق إفطار آل دوجلاس ثم نذهب للمحكمة لننهى هذا الكابوس .. عمت مساء .. »

هززت رأسى محييًا ليندا والطفل وتجاهلت هارى لأننى أمقته بجنون لتهوره ..

انغلق على باب الغرفة .. السؤال المهم هو هل توجد حشرات فى الفراش ؟ الشعور المرعب الذى يساورنى كلما قصدت مكانًا جديدًا متوسط النظافة .. لا أحب البق وأعتقد أنه لا يوجد كثيرون يحبونه على كل حال .. طبعًا العقارب تحت الفراش موضوع آخر ..

هكذا اتجهت للنافذة ففتحتها لألقى نظرة على الليل البارد بالخارج وأشعر برجفة .. أحب هذا الشعور .. الفجر قريب على كل حال ... يجب أن أنام إذا ما اطمأننت إلى الفراش ..

عدت للسرير وأزحت الغطاء .. سلبى (أو ربما هو إيجابى لا أعرف بالضبط) .. لا توجد كائنات غامضة ولا تحركات مريبة .. لا يوجد بيض صراصير ملتصقًا بالملة ، ولا توجد أبراص على السقف ..

وماذا عن الوسادة ؟..

رفعت الوسادة لأبحث عن البق تحتها ، وعلى الفور أدركت معنى ما أراه .. رقاقة من جلد مدبوغ .. تعرف طبعًا أنه جلد موتى مدبوغ . وقد كتب عليه بالدم ....

لقد عشت هذا الموقف مرارًا ..

(الكينونة) تعرف أننى هنا ولديها رسالة لى !!

معنى هذا ـ ببساطة ـ أننى على أبواب كارثة .. أكره أن أكون مصيبًا فى كل مرة لكنها الحقيقة المؤسية ..

- 6 -

عزيزى رفعت :

للمرة الثانية أتصل بك وأنت فى الولايات المتحدة . تذكرت قصتك فى تلك البلدة التى تعج بالحشرات ، وتذكرت هوايتك فى اقتناص النحس . أنت تعرف أن نصف شياطين جانب النجوم تنتظرك أو تحلم بتعذيبك . د. لوسيفر يعتبرك عدوًا شخصيًا . لهذا أشعر بدافع غريزى يدفعنى لحمايتك . لا أملك ضعف البشر لكنه نوع من الدافع الذى يجعلك تمسك بيد طفل يوشك على المشى فوق قضيب قطار أو شرب زجاجة مطهر .

أنت فى كنساس .. جميل جميل .. تذكر قصة ترومان كابوت الشهيرة (مع سبق الإصرار والترصد) .. أحداثها وقعت فى كنساس . قاتلان ساديان يهاجمان أسرة مزارع ثرى ويذبحان كل أفراد الأسرة . إن القصة واقعية كما تعلم ، وهى ليست مما يحب المرء سماعه قبل النوم ليلاً .

خذ الحذر فأنا أمقت أن أفقدك . كالعادة لا تستعمل أسماء أبدًا ...

بإخلاص :

أنت تعرف من ....

* * *

عزيزتى :

لن أنسى التعليمات .. لا أسماء .. طريقة كتابة الخطاب هى هى ..

سحبت قطرات من دمى بالمحقن ووضعت نقطة من الإكسير واستخدمت سن الإبرة فى الكتابة . بعد انتهائى سأحرق الورقة فى مغطس الحمام . لحسن الحظ أنه لا يوجد كاشف دخان فى هذه الغرفة .

أشعر أنك تحذريننى من شىء ؟ ما هو ؟. هل لك وجود فى هذه البلدة ؟

بإخلاص :

رفعت إسماعيل

★ ★ ★

عزيزى رفعت :

أنت تعرف أننى لا أستطيع الكلام بصراحة فهذا مُحرَم عندنا ... يمكننى التلميح فقط على سبيل التحايل على القوانين ، وأنت تعرف أننى سأكون قريبة منك أحاول إنقاذك بشكل غير مباشر . وكما فى كل مرة سيكون لى تاريخ قديم بحيث يعتقد كل واحد فى البلدة أننى موجودة هناك منذ دهر ، برغم أننى ظهرت فى حياتهم منذ يومين فقط !!. قد أكون ساقية الحانة أو القاضى العجوز أو الشرطى أو القط الذى ينام فى مدخل الفندق .. لن تعرف أبدًا . يمكنك أن تجد العلامات الخمس لو فكرت ، لكن لن يخطر ببالك من أنا أبدًا . ولا تذكر العلامات الخمس فى خطاباتك بأى شكل . أنا أدافع عنك أحيانًا لكنى كذلك شديدة البطش ...

تذكر هذه النصائح فقد تكون مفيدة ، بعضها مفيد جدًا وبعضه لا جدوى منه ، لكنى لا أستطيع تركك بلا تلميحات كالعادة .

1 ـ الميكانيكى البارع سلعة نادرة فعلاً ، ولو وجدته قد لا يكون فى صفك .

2 ـ لا تثق فى الصابون ذى الرغوة الزائدة .

3 ـ أين تذهب كُلى الجثث ؟

4 ـ لا تثق فى الأطباء أبدًا ..

5 ـ انظر لعيون الأطفال ففيها الحقيقة كلها

6 ـ اللحم المشوى لذيذ دائمًا لكنه يتعب المعدة .

7 ـ هناك دائمًا لوحات رائعة .

8 ـ ربع ساعة بعد منتصف الليل .. بعدها ينتهى كل شىء .

9 ـ شابوركان وابن فتك والنار .

شكرًا سلفًا ....

بإخلاص :

أنت تعرف من ....

* * *

تبادلنا الخطابين فى فترة لا تتجاوز الساعة .. الأمر أقرب للبريد الإلكترونى فعلاً . وقفت أحرق خطابها الأخير وأنا أفكر .. سوف أنسى هذه التحذيرات ما لم أدونها بشكل رمزى فى مفكرتى . الكينونة مخيفة والتعامل معها نوع من اللعب بالنار ، فلو أغضبتها لصارت أخطر من كل شياطين جانب النجوم .

فقط يجب أن أتوقع أننا فى خطر .. هل يجدى أن نفر الآن ؟ هارى لن يصدق حرفًا بالتأكيد . إنه يؤمن بأننى مخبول . لو قلت له إننى أتلقى رسائل تحذير كتبت على جلد الموتى المدبوغ يرسلها لى كائن اسمه الكينونة فلسوف .... حسن . أفضل عدم التخيل !

استلقيت فى السرير وحاولت ألا أفكر كثيرًا .. بدأت أحداث اليوم والإرهاق فى التكاثف على ، حتى صار وزن جفنى طنًا ..

غرقت فى نوم عميق ، فلم أفق إلا على صوت قرعات على الباب وصوت هارى يصيح :

ـ « رفعت .. إنها الثامنة ..!.. »

صحوت من النوم مذعورًا وغمغمت بشىء ، ثم هرعت إلى المغطس أغسل وجهى بالماء والصابون .. لديهم هنا صابون عطر ذو رغوة غزيرة فعلاً .. انتعاش !.. وسرعان ما ارتديت ثيابى .. وخرجت ومعى حقيبتى ، إلى صالة صغيرة فيها منضدة .. وقد جلس إليها هارى ولندا وجيمى وفتاة شقراء ورجل نحيل أسمر فى الأربعين ، له عينان جاحظتان يخفيهما خلف

عوينات سميكة .. قلت لنفسى إن هذا الرجل طبيب ولأمت إن كان هذا غير صحيح . كان أمام كل واحد طبق وبعض الخبز المقدد ومثلث جبن ..

حييت الجميع وجلست .. كان رأسى يرقص رقصة مجنونة ، خاصة أننى كنت نائمًا أحلم منذ عشر دقائق .

ظهر مستر دوجلاس وهو يحمل صحفة عليها عدد من الأطباق .. أطباق فيها لحم وبيض ، ومن الواضح أنه (بيكون) ، لذا أدركت أننى سأكتفى بأكل التوست مع المربى والجبن . كان هناك كعك لذيذ المذاق أعتقد أنه يحوى الزنجبيل (جنجر) وقد ملأت به بطنى . غاب دوجلاس وسمعناه يصرخ فى زوجته كى تسرع فى إعداد القهوة ، ثم عاد وهو يحمل ترموس قهوة يتصاعد منه البخار زكى الرائحة وصب لنا .. يكفى منظر القهوة كى ينعشك .. ثم تتسرب رائحتها لروحك فتصحو .. ثم تذوقها فتولد من جديد . هبة الله القادمة من أرض البن كما يقول كاتبنا العظيم أحمد بهجت .

همست ليندا بصوت مسموع :

- « لماذا لا تظهر السيدة دوجلاس ؟ »

قال هارى وهو يملأ فمه بالبيض :

- « لا وقت لديها للضيافة .. تصورى أنها تطبخ لكل هؤلاء .. »

رحت أجول بنظرى فى جيران المائدة ، فالتقت عيناى بالفتاة .. نظرت لى مليًا ثم قالت :

- « أنت شرق أوسطى .. »

قلت على الفور :

- « لا أدرى إن كان على أن أنفى هذا أم أؤكده .. لكنى مصرى .. رفعت إسماعيل .. طبيب .. »

- « روزالين أدامز .. رسامة .. »

كانت نحيلة وشاحبة جدًا لها طابع راق واضح ، وكانت تفرق شعرها من الوسط على طريقة الستينيات ، وتضع عوينات شفافة رقيقة .. هذه الفتاة وجودية ولتقطع ذراعى إن كنت مخطئًا ...

قدم لها هارى نفسه وليندا وجيمى ، ثم سألها عن سبب وجودها فى البلدة ..

قالت وهى ترشف القهوة :

- « مخالفة مرور طبعًا .. سرعة زائدة ! »

تبادلت النظرات مع هارى .. جميل جدًا .. نحن نعرف أشخاصا مروا بمصير كهذا .. ولماذا ظللت هنا ؟

- « هل دفعت الغرامة ؟ هل معك مال ؟ »

قالت ضاحكة :

- « دفعت طبعًا لكنى هنا منذ أسبوع .. ليس من السهل أن تغادر هذه المدينة من دون سيارة ، وسيارتى معطلة .. كما أن خدمات الهاتف هنا ليست على ما يرام .. »

قال هارى فى شهامة :

ـ « ألا يوجد ميكانيكى بارع فى هذه المدينة ؟ على كل حال يمكننا أن توصلك لأقرب بلدة فيها ميكانيكى .. »

هنا تدخل الرجل الذى يضع العوينات السميكة وقال وهو يفرك قدح القهوة بين راحتى كفيه :

ـ « أنت لا تفهم يا سيدى .. لا أحد يستطيع مغادرة هذه المدينة متى دخلها !! »

ـ 7 ـ

آخر شىء أذكره هو أننى كنت أركض نحو الباب ..
كان على أن أجد ممرًا يقودنى من حيث جئت ..
قال لى الحارس الليلى : استرخ ..
نحن معدون لاستقبال الضيوف ..
يمكنك أن تترك غرفتك فى أى وقت تريد
لكنك لا تستطيع الرحيل أبدًا ....! »

فريق إيجلز

★ ★ ★

قال ذو العوينات :

ـ « لا توجد طريقة لمغادرة هذه المدينة .. يجب أن تعتاد هذه الحقيقة !! »

سأله هارى فى غيظ :

ـ « من أنت بالضبط يا سيدى ؟ »

هز الرجل رأسه وقال :

ـ « فريدى ويليامسون .. كاتب وطبيب فى الأصل ومهتم بالظواهر الخارقة ! »

طبيب ومهتم بالظواهر الخارقة ؟... يبدو لى هذا التعريف مألوفًا .. ألن ينتهى هؤلاء المخابيل من العالم ؟

نظر لى هارى نظرة عابرة ، كأنه يقول : لدينا مجنون آخر هنا . ثم نظر للرجل بمعنى (استمر) .. فقال الرجل الذى عرفنا اسمه منذ ثوان :

- « لكنى فى الحقيقة جئت هنا بالصدفة .. كنت منطلقًا على الطريق السريع واستوقفنى شرطى المرور .. نفس السيناريو تقريبًا .. »

- « وبعد هذا ؟ »

- « سوف تكتشف بنفسك .. فقط انته من مشكلة الغرامة هذه »

ساد الصمت .. لا شىء يقال .. ثم إن هارى كوّم المنشفة فى عصبية وألقى بها على المنضدة ، وقال لى وهو ينهض :

- « فلننه أمر هذه البلدة .. دعنا نذهب للمحكمة .. »

لم يعلق الرجل ولا الفتاة .. بينما تناول كل واحد منا حقيبته ، واتجهنا إلى الباب .. هناك وجدنا سيارتنا حيث هى فوضعنا الحقائب فيها ، ثم مشينا إلى المحكمة .. المسافات هنا لا تتجاوز بضعة أمتار بين المحكمة والفندق والمطعم ...

فى الداخل كان هناك مكتب صغير كان موصدًا أمس ، وفى الداخل رأينا سيدة نحيلة مسنة توشك على تناول طعام الإفطار .. فلما رأتنا أبدت دهشة ..

قال هارى :

- « آسف لإزعاجك لكن القاضى قد حكم علينا بغرامة .. أرغب فى أن تأخذى المال وتعيدوا لى الرخصة .. »

تفحصت الأوراق أمامها ثم قالت :

- « بالفعل .. تركوا لى الرخصة وورقة عليها قرار القاضى جالواى المحترم ... »

ثم مدت يدها لجيمى حاملة قطعة من الكعك .. وقالت فى لطف :

- « اسمى كارلا .. كارلا جيوفانى .. »

من أصل إيطالى إذن ... كنت أحسب الإيطاليين فى نيويورك فقط .. لن أكف عن تعلم أشياء جديدة ، لكن جيمى الصغير لم يرحب بقطعة الكعك .. فتراجعت . ثم إنها عرضت علينا أغرب عرض فى التاريخ :

- « هل ترغبون فى شراء صابون بيتى ؟ عطر جدًا ويعطى رغوة ممتازة ! أصنع كذلك بسكويتًا ممتازًا »

أغرب موقف فى العالم أن تشترى صابونًا من الموظفة التى تدفع لها غرامة فى المحكمة . سيكون هذا حديث الركبان لو حدث . لكن من الواضح أن المرأة لا تبيع منتجاتها المنزلية وقد وجدت فرصة فى بعض الغرباء الذين تبدو عليهم البلاهة ..

قالت لندا فى عصبية :

- « نحن لك شاكرون .. آخر شىء نفكر فيه حاليًا هو الصابون والكعك .. نرجو أن تنهى الإجراءات .. »

ـ « خسارة .. »

قالتها بصوت رفيع مرتعش ثم راحت تعد الدولارات وناولت هارى إيصالاً والرخصة ، وقالت فى لطف :

ـ « خذ الحذر فى القيادة .. قاضى البلدة التالية قد لا يكون لطيفًا مثل قاضى بلدتنا »

قال من بين أسنانه :

ـ « أشك فى هذا .. »

ثم التفت لنا كى نتبعه ..

ركبنا السيارة شاعرين بالخلاص .. فلما استرجعت طبيعتى قلت له :

ـ « أنت تعرف طبعًا أن المحرك لن يعمل !! »

ـ « لماذا أيها النحس ؟ »

ـ « ربما أنا نحس لكن المحرك لن يعمل كذلك .. القصة دائمًا هكذا ولسوف أندهش جدًا لو دار .. »

لماذا لا يصدقنى الحمقى ؟ الحياة كلها سلسلة من القصص المكررة .. سلسلة من الأنماط المألوفة ، لكننا فى كل مرة نأمل فى أن تسير معنا الأمور بشكل مخالف .

لا صوت على الإطلاق .. المحرك غاف تمامًا ... عبقرى كالعادة ...

أطلق هارى سبة ثم ترجل وفتح الكبود ... أطلق صفيرًا وهتف :

ـ « فلتحل على اللعنة !... البوجيهات (شموع الاحتراق) كلها منزوعة !!! »

ـ « قلت لك هذا .. »

ـ « ولكن كيف ؟ »

ـ « مفتاح البوجيهات يسهّل المهمة و ..... »

قال فى غيظ :

ـ « لا أقصد كيف سرقت البوجيهات .. أقصد كيف فتحوا كبود السيارة ؟.. السيارة مغلقة ولم تقتحم والكبود لم يغتصب .. لكن هذا حدث»

قلت له إننى أقترح أن يسأل فى محطة الوقود عن ميكانيكى .. أو لربما وجد بوجيهات .. أعتقد أن معنا مفتاح بوجيهات وهارى لديه خبرة بالميكانيكا لا بأس بها ...

ترجلنا من السيارة تاركين ليندا وجيمى ومشينا نحو محطة الوقود القريبة ..

كان العامل هناك يضع البنزين فى خزان سيارة .. وكان سائق السيارة ينظر لنا فى فضول . جريمة أن تكون غريبًا فى بلدة صغيرة .. عمل وقح ..

كان العامل شابًا وسيمًا له ذراع مضمدة وإن لم تعق حركته . فى الواقع كان وسيمًا جدًا مكانه شاشة السينما وليس هذه المحطة .. عيناه تلمعان فى ذكاء ..

قال له هارى وهو يهز رأسه :

ـ « اسمى هارى شيلدون .. سيارتى معطلة .. نريد بوجيهات .. »

تدلت لفافة تبغ من فم الشاب الوسيم وحك الشعر تحت قبعته وقال :

ـ « اسمى فيك دانييلز .. أنا لا أفهم الميكانيكا .. »

تدخل الرجل الذى يركب السيارة ، وهو كهل فى منتصف العمر له وجه كئيب يذكرك بكلاب الماستيف . أنا لا أعرف شكل كلاب الماستيف لكنى متأكد من أنها تبدو كذلك .. قال الرجل :

ـ « صديقك ويليام ويلسون كان تاجر ماريجوانا ، لكنه كان كذلك ميكانيكيًا بارعًا .. »

سأل هارى فى ضيق :

ـ « وأين ذهب تاجر المخدرات البارع فى الميكانيكا هذا ؟ »

قال فيك :

ـ « اختفى للأسف .. زوجته أميمة بحثت عنه طويلاً .. يقال إنه فر من البلدة .. »

سألته فى دهشة :

ـ « أميمة ؟ هل هى مكسيكية ؟ »

ـ « من أصل مصرى هى .. أميمة ويلسون .. »

شعرت بتعاسة فلم أكلف نفسى بإخباره أننى مصرى بدورى .. فقط سألته :

ـ « والحل ؟.. هل نظل هنا للأبد ؟ »

وقال هارى :

ـ « ماذا يفعل من تتلف سيارته هنا ؟ يرميها ويمشى على قدميه ؟ »

قال راكب السيارة ذو الملامح التعسة :

ـ « هناك ميكانيكى بارع يأتى للبلدة كل أسبوع .. ولديه مرآب صغير هنا يستعمله كورشة .. لكنه لن يكسب عيشه لو ظل فى أشلى .. فقط يأتى يومين فى الأسبوع .. »

ـ « ومتى يعود ؟ »

ـ « للأسف كان هنا عصر أمس .. سوف تنتظرونه أسبوعًا .. »

قال عامل المحطة وهو يغلق خزان البنزين :

ـ « دكتور روبرت إيركهارت هو طبيبنا هنا .. وكلامه دقيق تمامًا »

الأطباء فى هذه البلدة أكثر من اللازم فعلاً .. طبيب مصرى نحيل أصلع ، وطبيب يبدو ككلاب الماستيف ، وطبيب جاحظ العينين يهتم بالخوارق ... لو رفعت حجرًا لوجدت تحته طبيبًا .. لو جرحت لحاء شجرة لسال منه طبيب ..

تبادلت وهارى النظرات .. ثم قال هارى :

ـ « هل المدينة معزولة لهذا الحد ؟ وماذا عن الهاتف ؟ »

ـ « معطل أكثر الوقت .. لكن لدينا الكثير من السيارات ونذهب لويتشيتا بانتظام .. »

جرنى هارى من معصمى لنتكلم على جنب ، فبدا الغيظ على راكب السيارة لأننا تركناه وابتعدنا .. ابتعدنا قليلاً عن المحطة ، فنظر للمدينة المغمورة فى نور النهار .. وقال :

ـ « يصعب على أن أصدق هذا .. هذه من ألاعيب المدن الصغيرة لترويج الفندق .. أنت تعرف وأنا أعرف أنهم سرقوا البوجيهات .. سوف يسلبوننا مبلغًا لا يقل عن ثلاثة آلاف دولار إذا حسبنا الغرامة . لقد وقعنا فى يد عصابة .. »

ـ « وهل لديك حل آخر ؟ »

ـ « لا أعرف .. »

كان يغلى غيظًا ..

عاد للمحطة حيث كانت سيارة إيركهارت تبتعد بصاحبها الغاضب ، فسأل الشاب :

ـ « إذن هو الموتيل .. هل من مكان يصلح للغداء ؟ »

فكر فيك قليلاً ونزع الكاسكيت ليجفف العرق عن جبينه وقال :

ـ « هناك مطعم صغير وحانة .. أميمة ويلسون تديرهما .. طعامها لا بأس به . تقدم ريشًا لذيذة .. »

نظر هارى لساعته .. ما زال الوقت مبكرًا على كل حال ..

هكذا حيينا الفتى وابتعدنا ...

رأينا من بعيد تلك الفتاة الوجودية التى تقيم معنا فى الفندق .. اسمها روزالين لو كنت ممن ينسون الأسماء بسهولة .. كانت ترتدى بنطالاً ضيقًا وبلوزة أنيقة وتمشى فى تؤدة قاصدة محطة الوقود .. أعتقد أن السيارة الواقفة على الجانب الآخر من الطريق سيارتها .

قلت لهارى :

ـ « واحدة أخرى ممن علقوا هنا .. »

قال دون أن ينظر للخلف :

ـ « لكنها طبعًا تستمتع بوقتها إلى أن يعود الميكانيكى .. لديها هذا الشاب الوسيم لتنسج حبالها حوله ، أما نحن فليس لدينا سوى السيدة كارلا جيوفانى موظفة المحكمة الشمطاء .. »

ثم قلدها بصوت رفيع :

ـ « هل ترغبون فى شراء صابون بيتى ؟ عطر جدًا ويعطى رغوة ممتازة ! بسكوييييييت .. »

ضحكت وقد تذكرت المشهد ... بالفعل رأيت الفتاة تقف مع العامل .. وكانت تضحك وتتمايل .. بدا لى أنها سعيدة جدًا

قلت لهارى :

- « على كل حال زوجتك لن تتركك تمارس هوايتك فى مطاردة الفتيات ... »

- « هذا صحيح .. دعنا نعد الحقائب للفندق وننتظر .. »

الجزء الثانى

أشياء غريبة تحدث

يحكيه هارى شيلدون

ـ 1 ـ

قال هارى شيلدون :

الرحلات مع رفعت إسماعيل مزعجة وخطرة دائمًا ، خاصة عندما تشعر أنك تسافر مع من استقطب كل النحس فى العالم . كل شىء خطأ يحدث مع رفعت .. كل حادث يقع معه .. عندما يسقط نيزك من الفضاء فأنا أعرف أين سيقع . تجربتى معه هى حصاد لا ينتهى من الزومبى وسحرة الفودوو والناس الذين يتحولون لحشرات .. و ...

لكنه برغم كل شىء مسل ... لا أنكر هذا . إنه شبيه بالملح الذى يضفى مذاقًا أفضل على الطعام ، ولكنك لن تتحمل التهام طبق من الملح طبعًا ..

★ ★ ★

عندما حانت الثانية عشرة شعرت أن بطنى تتقلص جوعًا . رفعت لم يبد مهتمًا ، فهذا الوقت عندهم فى مصر يدخل فى نطاق الإفطار لا الغداء .

قلت له إننى راغب فى تناول الغداء . لم يبد متحمسًا لكننى أخذته وأخذت أسرتى الصغيرة قاصدين مطعم أميمة ويلسون ... يجب أن نتحمل الحياة أسبوعًا فى هذه البلدة المملة . قال لى جيمى باكيًا :

ـ « داد .. أريد جهاز تلفزيون !! »

هذا صحيح .. نسيت أن هناك اختراعًا بهذا الاسم . لا شك أن غرفتينا فى الموتيل بلا تلفزيون ، لكن بالتأكيد هناك واحد فى غرفة الجلوس لكن أين ؟

وجهت نفس الملحوظة لرفعت فقال بطريقته الكئيبة :

ـ « أنت تعرف مدنكم الصغيرة المنسية هذه .. لا بد أنهم يتبعون مذهبًا دينيًا غامضًا يحرم التلفزيونات .. أعتقد أن المورمون يفعلون ذلك .. »

قد يكون كلامًا مهمًا وقد لا يكون . لكن هذا يقودنا لسؤال مهم : أين الكنيسة فى هذه البلدة ؟ لو طبقنا قواعد أفلام الرعب لوجدنا أنهم يعبدون الشيطان ويعلقون صليبًا مقلوبًا فى قبو ..

سوف نتناول الغداء ثم نسأل عن الكنيسة .. القس فى هذه البلدة سوف يعطينى فكرة لا بأس بها عن الناس هنا ..

كان المطعم من طراز Diner أى أنك تجلس فى مكان أقرب لعربة القطار .. هذا طابع يميز (نيو إنجلند) لكن قد تجده هنا ..

جلسنا .. وكانت المنضدة نظيفة ، وهناك مزهرية بها ورد نضر ... الملاعق وأدوات الطعام كانت نظيفة مصقولة . مشهد يبعث الراحة فى النفس . قال رفعت :

ـ « فى العربية نقول إن العين تأكل قبل الفم .. »

هذا صحيح بدقة ..

ثم ظهرت أميمة .. بالفعل لا بد أن يكون اسمها أميمة . الحصان العربى الجميل ذو العينين اللتين لا يمكن الفرار منهما . لقد كثفوا قصص ألف ليلة وليلة ووضعوها فى عينيها .. بخور الدراويش .. بلاط هارون الرشيد .. نقوش الفراعنة ، وامتزج هذا بجمال غربى

زوجها مات أو اختطف .. لا شك فى هذا .. لا أحد يترك هذا الجمال بكامل إرادته ووعيه .. لا أحد .

لقد تلقى قلبى ضربة مروعة ، وكان على أن أتماسك أمام ليندا .. إنها تراقبنى كالصقر ..

قالت لها ليندا فى برود (إنهن يشعرن غريزيًا بهذه الأمور) :

ـ « نريد أن نأكل يا حبيبتى .. »

قالت أميمة بصوت يشبهها :

ـ « ماذا أقدم لكم ؟ »

قلت لها فى مرح :

ـ « سمعنا عن الريش المشوية التى تقدمينها .. لا بأس بريش ومكرونة ... بعض النبيذ كذلك وبعض الكولا لصديقنا العربى .. »

دونت الطلب فى مفكرة صغيرة تعلقها فى جيب سروالها ، وهو عمل غريب لأن المكان لم يكن مزدحمًا لهذا الحد . على بعد مائدة كانت هناك سيدة مع فتاة نحيلة ... وعلى بعد ثلاث موائد كانت هناك فتاتان ملطختان بالأصباغ تختلسان النظر لنا وتضحكان فى ميوعة ... هذه الضحكة الرقيعة لا تخطئها الأذن ..

قالت ليندا فى غل بعد انصراف أميمة :

ـ « هاتان الفتاتان .. يمكننى تخمين عملهما من دون بطاقة ..»

نظرت لجيمى لأتأكد من أنه لا يتابع الكلام بل كان يلتقط قطع الجزر من السلاطة بالشوكة ، وقلت فى حذر :

ـ « فى هذه البلدان الصغيرة يصعب أن تمارس امرأة المهنة التى تعتقدينها .. الكل يعرف الكل .. »

قال رفعت دون أن ينظر للفتاتين :

ـ « يبدو أن هذه البلدة استثناء .. لا أعتقد أن هاتين الفتاتين تعملان فى تحليل قواعد البيانات .. »

ـ « يأتين من الخارج ليلوثن كل شىء .. إنهن يطفن بمدن الولاية كلها !! »

هذا الصوت القوى الواثق واللكنة الشرق أوروبية .. نظرنا جميعًا للخلف فوجدنا تلك السيدة التى تجلس مع فتاة نحيلة .. لقد قررت أن تتدخل فى الحديث .. عادة بذيئة تثير غيظى لكنها حدثت ..

كانت بارعة الجمال فعلاً ، لكنه جمال قاس كتماثيل الشمع .. بشرة بيضاء جدًا شفافة ترى الأوردة من تحتها . عينان خضراوان اقترضتهما من نمر .. فى الأربعين من العمر على الأرجح ..

الفتاة النحيلة كانت رقيقة جميلة ، لكنك قادر على أن ترى مواضع اتصال عظام جمجمتها .. فى عينيها حزن غريب ..

قالت السيدة بصوتها الواثق :

ـ « معذرة .. لم أقدم نفسى .. أنا (أماليا بوكاوسكى) ... بولندية الأصل .. أقيم فى هذه البلدة التعسة منذ عشر سنوات .. »

ثم أشارت للفتاة وقالت :

ـ « كاترين . وصيفتى وسكرتيرتى .. »

وصيفة ؟ نعم .. بالطبع لها وصيفة وربما فتاة تساعدها على اختيار ثيابها ... هذه الأساور وهذا القرط والخاتم الماسى . إنها ثرية جدًا كأنها أميرة مجرية مثلاً ، ويعلم الله وحده ما تفعله فى بلدة فقيرة صغيرة كهذه ..

سألها رفعت فى حذر :

ـ « هل لى أن أسأل عن سبب تواجد سيدة نبيلة مثلك هنا ؟ »

هزت رأسها ولوحت بيدها فى قرف بما معناه (أوه ... قصة معقدة) ، ثم راحت تقطع شرائح اللحم فى ثقة وتناولت رشفة من كأس خمر أمامها . لاحظت أن أمام الفتاة طعامًا لكنها لا تأكل كأنها فقدت شهيتها ..

مضغت أماليا بفم مغلق قطعة من اللحم ، ثم ازدردتها وقالت :

ـ « أنصحكم بالحذر من هاته الفتيات .. من هن على هذه الشاكلة عملهن معروف ويمكن استنتاجه لكنهن كذلك يسرقن الغرباء .. »

فى هذه اللحظة انفتح باب المطعم ..

رأينا الفتاة الوجودية إياها . اسمها روزالين لو كنت تنسى الأسماء ، تضحك فى مرح من دعابة قالها الفتى الوسيم ذو اليد المضمدة (فيك) ، وكانت تتأبط ذراعه فى افتتان ...

هتفت وهى تشهق من النشوة :

ـ « أنت شيطان .. تملك أظرف دعابات سمعتها .. »

ضحك بدوره ثم صاح بصوت جهورى مناديًا لا أحد :

ـ « أميمة يا ملاكى .. نريد الغداء ! .. »

ثم جلسا فى ركن المكان ، وسمعناهما يتهامسان والفتاة لا تكف عن الضحك .. المرأة عندما تنهار أسوارها كلها ولا تصطنع اللامبالاة والترفع .. إنها مدلهة فى حبه أو على الأقل انبهارًا به وهى تعلن هذا للجميع ولا تخجل .. أنا لك .. أنا لك بالكامل ...

قال رفعت ضاحكًا :

ـ « عصفورا الحب ... لقد ترك محطة البنزين تحترق ! »

قلت :

ـ « على الأقل دعاها لتأكل فى مطعم زوجة صديقه .. إنه مخلص .. »

قالت السيدة الأوروبية فى احتقار :

ـ « هؤلاء الشباب .. يفعلون أى شىء فى أى وقت .. ولو اعترضنا فنحن متحجرون .. »

ثم رفعتْ كأسها :

ـ « فى صحة الوافدين الجدد .. »

هنا جاءت أميمة تحمل أطباقًا عليها ريش مشوية مع زجاجات مستردة وكتشاب .. ثم عادت للمطبخ وعادت بالمكرونة الساخنة

ـ « هل من شيء آخر ؟ »

تمنيت لو طلبت منها أن تقبلنى أو على الأقل تقف جوارنا بعض الوقت وتتنفس فى أذنى ، لكن المرء لا يعترف بكل شيء عندما تكون زوجته على بعد متر ..

وقد دست ليندا الشوكة فى الطبق و شرعت تطعم جيمى ، بينما راح رفعت يصارع المكرونة الطويلة فى عسر كعادته وهو يطلق السباب بالعربية ..

ثم إنه أمسك بريشة مشوية فى يده وتأملها ، فقلت ضاحكًا :

ـ « هل تنوى أن ترسمها ؟ »

قال فى شك :

ـ « أتمنى ذلك .. لكن حجم هذه الريش وشكلها غريب .. عندما نجد ريشًا كهذه عندنا فى مصر فنحن نشك فى أن صاحب المطعم يذبح الحمير .. »

قلت فى لا مبالاة :

ـ « الحمير أغلى من البقر فى هذه البقاع .. »

قال فى حيرة :

ـ « على كل حال سأكتفى بالمكرونة .. »

استدرت نحو السيدة الأوروبية التى تأكل بشهية ممتازة ، وسألتها أين تقيم .. فقالت :

ـ « بيت زوجى المتوفى .. عند نهاية الشارع على اليسار .. حديقة جميلة وكلب أبله وعدة وصيفات .. إننى أرحب بالزوار .. لو لم تجد البيت سل الناس عن منزل السيدة بوكاوسكى .. لو زرتنى فلسوف ترى مجموعة لوحات رائعة . زوجى كان يجمع روائع .. »

ثم جففت فمها بالمنشفة . وألقتها فى الطبق ، ونظرت لوصيفتها آمرة :

ـ « كلى يا كاترين .. أنت نحيلة كالسرعوف .. »

نظرت لها الفتاة ولم تعلق ، فنهضت السيدة وهتفت :

ـ « أميمة .. أضيفى الحساب للفاتورة .. دعينا نرحل يا كاترين .. »

وسرعان ما ابتعدت المرأتان لتغادرا المطعم ..

قال رفعت باسمًا :

ـ « السيدة المتحذلقة التى يرسمونها فى الكاريكاتور .. لا بد أنها تمتص دم خادمتها كالبرغوث .. تزداد بدانة وتزداد الأخرى نحولاً .. »

هنا قالت ليندا فى فضول :

ـ « بالمناسبة .. هل لدى هؤلاء القوم كنيسة ؟ »

السؤال الذى كان يدور فى ذهنى منذ جئنا هنا .. أعتقد أن أميمة يمكن أن تدلنا ..

- 2 -

الطفلة التى تلعب فى فناء الكنيسة بدت لنا غريبة . ثمة شىء ما فى عينيها ... نظرت لنا وضحكت ثم عاودت اللعب ..

تأملها رفعت فى فضول ، ثم قال بلهجة طبيب فرغ من التشخيص :

- « Heterochromia ... كل قزحية لها لون مختلف .. »

قالت لندا فى دهشة وهى تتأمل الطفلة :

- « وهل هذا معتاد ؟ »

- « فقط فى حالات وراثية نادرة .. قد تشى بأمراض معينة لدى الإيرانيين .. »

هنا ركض جيمى ليخطف الكرة من الطفلة الصغيرة الشقراء ، فراحت تركلها لتبعدها عنه ، واندفعا يركضان وسط الأعشاب الطويلة فى الفناء . هتفت ليندا تأمره ألا يبتعد .. ثم أنها مضت معنا ..

الوقت يقترب من المغرب .. الشمس سوف تغيب خلال ساعتين ..

يمكنك أن ترى أن هذه الحديقة لم يعتن بها أحد قط ... الأعشاب بارتفاع الساق .. هناك سيارة صدئة تقف هناك وقد اتخذ قطان مسكنهما فيها .. نباتات شائكة تحيط بالبناية وباب موارب ... باب عتيق ..

تعال معى نفتح هذا الباب الموارب ... فى العادة لا بد من شىء يثب فى وجهك لهذا حرصت على أن أكون الأول لأن ليندا ستصرخ فى هستيريا ، ورفعت سيموت بنوبة قلبية لو وثب شىء ..

الصدى وصوت خطواتنا وأنفاسنا ...

نرى الدكك الخشبية ... ثمة فأر يثب هناك . .

العنكبوت فى كل مكان .. رائحة العطن والرطوبة والظلام لا يبدده سوى ضوء خافت يتسرب من الباب ومن شقوق فى خصاص النافذة ..

فى نهاية القاعة نرى المذبح . ستائر ممزقة .. لا توجد أى أيقونة ولا يوجد صليب ..

قال رفعت همسًا :

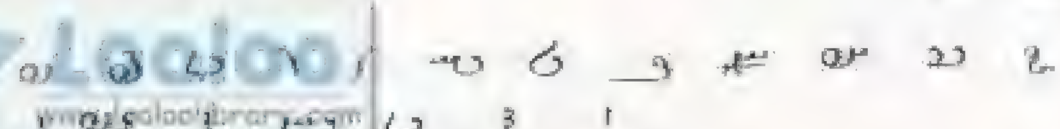
- « على الأقل لا يوجد صليب مقلوب ولا يوجد صنم .. هذه علامة مطمئنة نوعًا ! »

مشيت إلى المذبح ..

هناك وجدت على المنضدة كتابًا غليظًا اصفرت أوراقه وتجعدت ..

لم أستطع قراءة حرف واحد .. هذه حروف غريبة لا أعرفها . ربما كان رفعت ذا خبرة بهذه الحروف ، لكنه جاء وتصفح الكتاب ثم غمغم :

- « ليست اليونانية ولا أى لغة أعرفها ... ربما بشىء من الخيال نقول إنها المسمارية ، لكنى لم أر المسمارية على ورق من قبل .. فقط على ألواح الفخار .. »



ثم قلب صفحة فتصاعدت سحابة غبار ، وتفككت الورقة فى يده .

ـ « هذا كتاب عتيق فعلاً .. أرى ألا نلمسه فقد يكون ثروة .. »

فى المتاحف يستعملون الكهرباء الإستاتيكية لتقليب صفحات هذه الكتب .. الصفحات الملتصقة يشحنونها بشحنة كهربية موجبة من ثم تتنافر الصفحات وتنفصل دون أن تتمزق .

كانت هذه هى الكنيسة التى دلتنا عليها أميمة صاحبة المطعم .. قالت لنا بلا مبالاة إنها فى نهاية الشارع ، وبدت مندهشة لأن هناك من يهتم بهذا ..

الآن ندرك أنه من الواضح أن أحدًا لم يدخل هذه الكنيسة منذ عقود . لا يمكن أن يكون هناك قس فى هذه البلدة وإلا لأصلح شأنها .. ثم هل هذه كنيسة أصلاً ؟ لا توجد أى علامة تدل على هذا .. لو قالوا لى إنها محفل ماسونى لصدقت أكثر ..

مدينة بلا كنيسة ولا قس فى بلاد مسيحية أصلاً .. هذه علامة مقلقة ..

يبدو أن رفعت على حق فى مخاوفه ...

قالت ليندا فى عصبية وهى تركل دكة خشبية :

ـ « لا أحب هذه المدينة . أرى أنه لا بد من الرحيل .. »

قال رفعت :

ـ « كلنا نشتهى هذا لكن كيف ؟ »

ـ « اعرض المال على أى واحد هنا كى يقودنا لأقرب مدينة .. كن سخيًا . ومن أقرب مدينة سنحضر ميكانيكيًا يصلح سيارتنا .. »

نزع رفعت عويناته وراح يفركها للتنظيف ، وقال :

ـ « تذكر ما قاله الرجل فى الفندق .. اسمه فريدى ويليامسون إن لم تخنى الذاكرة .. »

ـ « الطبيب المخبول الشبيه بك .. »

ـ « ربما .. قال إنه لا سبيل للفرار من هنا .. بالتأكيد فكر فى هذا كله .. نحن لن نخترع العجلة .. »

قالت لندا فى ذعر :

ـ « ولماذا يقول ذلك ؟ لم نستوضحه هذه النقطة .. »

قال رفعت وهو يعيد العوينات لأنفه :

ـ « الأمر واضح .. هذه البلدة مصيدة .. شرطى المرور يقود لها السذج والتعساء .. وفى الداخل يكتشفون الحقيقة .. »

ـ « أى حقيقة ؟ »

ـ « لا أدرى . لكننا سوف نعرفها بالتأكيد قبل أن نموت ونحن نصرخ ألمًا .. هذا يجعلنى متشوقًا للموت بسرعة لأن الفضول يقتلنى .. »

ـ « وربما تموت قبل أن تعرف .. »

ـ « صعب .. لا بد من شخص يضحك متشفيًا ويقول : وقعتم فى الشرك . لم تعرفوا أيها الحمقى أن كذا .. وكذا .. وكذا ..... إلخ . الموت بلا تفسير أسوأ أنواع الموت .. »

★ ★ ★

صرخة جيمى الشنيعة مزقت أعصابنا ..

تبادلنا النظرات ورأيت رفعت الأحمق يتحسس صدره .. قلبه كاد يتوقف ..

لم أنتظر لحظة أخرى واندفعت نحو الباب الموارب وركلته ورحت أركض فى الحديقة المشعثة لقتل حية الجرس التى هاجمت جيمى . بالتأكيد حية وإلا فلماذا يصرخ بهذا الشكل ؟

لكنى وجدته يقف هناك جوار شجرة ويصرخ فى هستيريا ..

كان ينظر لشىء على الأرض ..

لحقت بى ليندا وهى تلهث ... لم يلحق بنا رفعت لأنه أصيب بنوبة قلبية كالعادة .. هذا الأحمق لا يمارس أى رياضة فى الكون سوى النوبات القلبية .. إنه بطل العالم فى النوبات القلبية فعلاً ...

كانا مراهقين .. هذا واضح ..

الفتاة شقراء فى السابعة عشرة وقد انفجر رأسها بالكامل .. الطلقة كانت من مسافة قريبة ..

الفتى ذو تكوين عضلى وأعتقد أنه كان وسيمًا .. لقد اخترقت ثلاث رصاصات ظهره ..

كانا متشابكى اليدين .. لا بد أنهما كانا يحاولان التماسك فى اللحظات الأخيرة عندما صوب القاتل المسدس عليهم .

لا شك كذلك أنهما عاشقان شابان . لا بد أنهما جاءا هنا بعيدًا عن الأعين ..

فوق جثة الفتاة كانت هناك ورقة عليها قطرة دماء .. انحنيت والتقطتها فى حذر فوجدت عليها هذه العلامات بقلم جاف وبخط اليد :



= 3 KPD = 0

هل هذا الرمز العجيب ينتمى للرموز الموجودة فى ذلك الكتاب العتيق ؟

ليندا راحت تنشج وهى تحمل جيمى جارية خارج الحديقة المرعبة ، بينما الشمس توشك على الرحيل .. كل شىء قرمزى مزرق . ورأيت على بعد مترين تلك الطفلة ذات العينين المتباينتين تنظر لى فى ثبات .. فجأة رأيت طفلاً آخر يقف على مسافة منها وينظر لى مندهشًا ... كانت قزحيتاه ذاتى لونين مختلفين .. ماذا يدور هنا . ؟

كان رفعت قد لحق بى أخيرًا وهو يمسك بصدره ويترنح ، فراح ينقل نظره بين الجثتين وبين الطفلين فى حيرة .. فقلت له دون أن ألتفت :

– « كلا . لا أتهم الطفلين بالقتل كما تتوهم أنت .. هذان ماتا برصاص مسدس .. »

قال بصوت مبحوح :

– « ثمة شىء خطأ فى هذه البلدة .. شىء شيطانى بالتأكيد .. »

ـ 3 ـ

هناك مأمور فى هذه البلدة .. هذا شىء مريح للأعصاب كما تعلم ..

كالاوى رجل بدين يربط الحزام بصعوبة فوق كرشه العملاق لكنه يصر على أن ينزل بى فخذيه ، بدين ويعرق بغزارة ومن الواضح أنه اعتاد حياة خاملة والكثير من البيرة ..

جاء بشكل ما بعد الهستيريا التى أحدثتها ليندا فى الشارع وكل هذا الصراخ والولولة . جاء من مكان ما ومعه رجلان .. أعتقد أن أحدهما مساعده والآخر رجل الشرطة الذى جلبنا هنا .. لا يضعون نجمة مثل مأمورى الغرب الأمريكى .

على ضوء الكشافات ـ لأن الليل قد جاء ـ رحنا نتفحص جثتى الشابين العاشقين اللذين دفعا الثمن غاليًا . هما أقرب للطفولة فى الواقع ..

قال المأمور وهو يخرج لفافة تبغ من علبته :

ـ « جيروم هاتكل وسالى ستروفر ... هذان شابان مليئان بالحيوية .. خسارة .. فى وسط الحياة نحن فى الموت .. »

بهذه البساطة ؟ يتكلم كأنهما توفيا وفاة طبيعية لأن أجلهما انتهى !! .. صحيح أن كل من يتلقى رصاصة فى رأسه انتهى أجله ، لكن ليس هذا وقت الاتعاظ والزهد .. هناك قاتل ..

سألته مغتاظًا :

ـ « ما الخطوة التالية ؟ »

انحنى والتقط صرصور حقل كان يزحف على ساق الفتاة الشمعية الميتة ، وألقاه بعيدًا ثم قال :

ـ « لا دفن طبعًا ... سوف ننقل الجثتين إلى ويتشيتا . وغالبًا سوف يأتى المحققون اليوم . عملى هنا إدارى فقط ولا أملك أى إمكانيات .. »

قال الشاب الذى يبدو كمعاونه :

ـ « على كل حال يتكرر هذا من وقت لآخر ! »

قال رفعت فى غيظ وقد احمر وجهه :

ـ « موت الشباب برصاصة فى الرأس .. هذه من تقاليدكم الفولكلورية هنا .. هه ؟ »

فى الوقت نفسه وضع الرجل الآخر ملاءتين فوق الجسدين وقال وهو جاث على الأرض :

ـ « هناك عاشقان هلكا بالطريقة ذاتها منذ أربعة أيام .. »

أضاف المأمور :

ـ « ولم يسمع أحد طلقات الرصاص ... »

ـ « وترك القاتل ورقة كهذه لكنه وضع أمام الرمز علامة 2 .. »

هتف رفعت :

- « نحن نتكلم إذن عن قتال تتابعى حر فى هذه البلدة .. فى كل مرة يدون رقمًا أعلى . وما هو KPD هذا ؟ »

بالطبع رفعت غريب عن عالمنا .. هذه الاختصارات تبدو له غريبة . فقلت مفسرًا :

- « أى شرطة كنساس .. إنه يتصور أنه يلعب لعبة كرة قدم ضد شرطة كنساس ... هو أحرز ٣ أهداف والشرطة صفر .. »

كان رفعت يفكر بعمق .. كأن هذا أضاء مصباحًا فى ذاكرته ثم قال :

- « زودياك ! »

قلت فى غيظ :

- « زودياك لم يكن هنا قط .. كان فى سان فرانسسكو ... »

- « لكنه كان يترك ورقة كهذه دائمًا .. الرمز الأول كان يشير له .. زودياك .. وكان متخصصًا فى إرسال رسائل شفرية للشرطة .. »

★ ★ ★

كل أمريكى يعرف زودياك Zodiac جيدًا ، لكن لا أحد يعرف من هو ..

دون خطأ كبير يمكن القول إن هذا القاتل السادى قد ارتكب الجريمة الكاملة .

جرائم زودياك امتدت بين عامى 1968 و1969 .. وكان متخصصًا فى قتل العشاق المراهقين الذين يلتقون فى أماكن منعزلة .. وكان يرسل

للشرطة رسائل شفرية استطاع الرياضيون حلها ، واستطاعوا أن يعرفوا أن اسمه زودياك .. زودياك هى أبراج الحظ التى نطالعها كل يوم .

كان يرسل رسائل تحمل عبارات . = SFPD .. أى أنه يحرز الأهداف ضد شرطة سان فرانسسكو .

أماكن جرائمه صارت كلاسية ، وصارت مقصدًا للسياح . يعرفون هجوم ينابيع الصخرة الزرقاء وهجوم بحيرة هيرمان .. إلخ .. هناك حوادث قتل فيها العشاق فى سيارتهما ، غالبًا بإطلاق الرصاص .. هناك ضحية واحدة أفلتت وقدمت لرسام الشرطة الرسم الوحيد لشخصية زودياك .

ارتكب زودياك عددًا من الجرائم يقترب من عشرة ، بل إنه قتل مذيعة تلفزيون قدمت برنامجًا عنه اتهمه بأنه مريض نفسى ..

كان هناك عالم نفسى تخصص فى دراسة شخصية زودياك ، وقال إنه محروم من الحب لذا يحقد على كل حبيبين ... وعلى الأرجح سيتوقف أو ينتحر ككل القتلة التتابعيين ، وكانت النتيجة أن زودياك أرسل يخبره أنه حمار ويعده بالقتل . لم يفعل هذا على كل حال .

فى النهاية لم يصل أحد لزودياك قط وما زالت القضية مفتوحة ، برغم أن عددًا كبيرًا من الأشخاص زعموا أنهم عرفوا شخصيته .. زوجات يجدن آثارًا توحى بأن أزواجهن هم زودياكات .. أبناء يؤكدون أن آباءهم هم زودياك .

على كل حال لا بد أن زودياك الأصلى قد مات أو هو شيخ فان الآن .

★ ★ ★

قال المأمور :

ـ « زودياك لم يكن هنا قط .. »

قال رفعت فى إصرار :

ـ « إذن هناك من يقلد أسلوبه .. هذا هو ما يسمونه استنساخ القتل Copycat murder ... على الأرجح سيكون هذا عاشقًا طعن فى حبه للفتاة القتيلة ، أو أخًا غيورًا على شرفه .. شخص ينتقم بشكل لا يبدو كجريمة شخصية .. »

قلت لرفعت فى تهكم :

ـ « تفسير معقد نوعًا .. »

رفع حزام سرواله الذى تساقط .. لا أعرف كيف لكن رفعت يزداد نحولاً فى كل ساعة . من أين يأتى بالأنسجة والدهن كى يصير ناحلاً ؟ . قال لى :

ـ « لو أردت أن أرتكب جريمة قتل ، فلسوف أستخدم أسلوب قاتل تتابعى .. هكذا لن يشك أحد أبدًا فى الدافع .. لا يوجد دافع لدى القاتل التتابعى . هل قرأت قصة (قاتل الأحرف الأبجدية) لأجاثا كريستى ؟ أراد قتل عمه من أجل الميراث ، هكذا راح يقتل أشخاصًا بنظام معين ... أبراهام من أرمين ... بنيامين من بتشلى ... إلخ ... وضمن الجرائم قتل عمه ويليام من ويلفورد مثلاً ... بالطبع كان رجال الشرطة يفتشون عن قاتل مجنون يقتل واحدًا من كل بلدة تحمل الحرف الأول من اسمه ، لكن هيركيول بوارو العبقرى استنتج اللعبة . كل شىء سهل عندما تكون من شخصيات أجاثا كريستى .. إنها تجعلك تعرف الحقائق بسهولة .. »

كان ردى مختصرًا وعميقًا :

ـ « أنت أحمق .. »

جاء ثلاثة رجال يحملون محفتين وكشافات ووضعوا الجثتين العاشقتين على المحفة .. فقال رفعت :

ـ « هذا ليس مستحبًا .. هذا مسرح جريمة ولربما كان من الأفضل أن ننتظر رجال البحث الجـ .. »

قال المأمور وهو يفسح كرشه ليمر الموكب الحزين :

ـ « لو انتظرنا رجال البحث الجنائى فهذا معناه أن تتعفن الجثتان .. سوف نحفظهما فى ثلاجة الجزار العملاقة إلى أن يأتى رجال ويتشيتا »

ثم إن مساعده جاء ببعض أوتاد وشريط يشبه شرائط افتتاح المشاريع ، فأحاط مسرح الجريمة بسياج منخفض من الشريط .. وبعدها جاء رجل قصير يحمل كاميرا ذات فلاش فالتقط بعض الصور ..

سوف يسعد رجال البحث الجنائى عندما يرون هذا التوثيق العظيم للحادث .. سوف يسقط الشريط مع مرور أول قطة ...

ساد الظلام عندما غادرنا الكنيسة المهجورة ..

كانت ليندا قد غادرت المكان مع جيمى وذهبت للفندق لتبكى كنشاط ليلى محبب ..

مشيت مع رفعت صامتين ، ثم قلت له إننى راغب فى الذهاب للحانة ..

ـ « لماذا ؟... فلننم ونتنفع بالوقت .. النوم مفيد فعلاً .. »

قلت له إننى راغب فى كأس أخيرة ، دعك بالطبع من أننى أريد أن أرى وجه أميمة من جديد ... رفعت لا يشرب الكحول وليس من الطراز المتحمس . لقد انتهى هذا الرجل فلم يعد يرى من العالم إلا مصاصى الدماء والأشباح ، وينظر للجمال الأنثوى نظرتنا لزهرة جميلة لا أكثر .. يراها فحسب ثم ينسى الأمر برمته . لكنه وافق على أن يرافقنى إذا كانت أميمة هذه تقدم قهوة جيدة ..

قال لى ونحن نمشى فى الشارع المظلم :

ـ « أنت تملك رغبة جامحة فى خيانة زوجتك .. تريد أى فرصة .. مع أن زوجتك مليحة .. »

قلت له ضاحكًا :

ـ « إنه الملل كما تعلم .. حتى لو كانت ليندا شريحة ستيك مشوية فلسوف تشعر بالملل منها بعد قليل .. »

ـ « لدينا أديب عربى عبقرى اسمه بشار بن برد يقول لزوجته : ما أقبحك حلالاً وما أحلاك حرامًا ! »(*)

ضحكت كثيرًا لدى سماع هذا ... ظريف رفعت هذا ..

دنونا من المطعم وكان المكان مظلمًا تمامًا ما عدا نافذة غامضة مضيئة ..

(*) القصة تُحكى أحيانًا منسوبة للفارابى أو الجاحظ .

هكذا رأيناه أمس عندما جئنا مع رجل الشرطة ، لكن كان مكانًا غامضًا مبهمًا وقتها كقبر من الأسرار ، لكنه اليوم قد كشف عن بعض أسراره .. على الأقل عن مديرته نصف العربية رائعة الجمال ..

فجأة سمعت رفعت يئن ..

ماذا دهاك يا أحمق .. ؟

أدركت أنه تعثر .. نهض وهو يسب ويلعن .. مددت يدى لجيبى وأخرجت كشافًا صغيرًا .. وصوبته على الأرض ..

يسهل أن تدرك أن هذه جثة ممزقة .. واحدة من الفتاتين اللتين كانتا فى المطعم فى وقت الغداء ..

★ ★ ★

ـ « فى هذه البلدان الصغيرة يصعب أن تمارس امرأة المهنة التى تعتقدينها .. الكل يعرف الكل .. »

قال رفعت دون أن ينظر للفتاتين :

ـ « يبدو أن هذه البلدة استثناء .. لا أعتقد أن هاتين الفتاتين تعملان فى تحليل قواعد البيانات .. »

ـ « يأتين من الخارج ليلوثن كل شىء .. إنهن يطفن بمدن الولاية كلها !! »

★ ★ ★

كان المشهد شنيعًا .. لقد تم تمزيق أجزاء معينـة منها ، والأحشاء وضعت على الكتف اليسرى ، كما أن أجزاء أخرى وضعت جوارها بشكل منظم أو تحت رأسها .. لا توجد دماء برغم هذه الفوضى .. لن أصف التفاصيل بسبب وجود الآنسات هنا ..

واضح أن الجريمة تمت منذ دقائق ..

نظرت فى رعب لرفعت فوجدته شـارد الذهن وإن ظلت شفته السفلى ترتجف ، ثم قال :

ـ « لقد تم خنقها قبل أن تذبح .. لهذا لم تفقد دماء كثيرة .. »

ثم أخرج منديله وراح يشهق .. كأنه موشك على القىء ..

قلت وأنا أنظر للبطن الدامية :

ـ « ما هذا ؟ »

انحنى رفعت وتأمل الجرح بعناية ثم قال :

ـ « انتزع الرحم .. غالبًا الكليـة غير موجودة كذلك . كل شىء يشى بدقة جراحيـة مذهلة .. رجل يعـرف تمامًا ما يقوم بـه . ربما هـو جزار أو جراح .. »

كانت هناك ورقة دامية على بعد خطوات من الجثة فلف يده فى منديله ثم التقطها .. هل فيها نفس الرموز اللعينة ؟ هل القاتل واحد ؟

لكن الورقة كانت تحوى كلامًا فارغًا : « جوبيلا جوبيلو جوبيليم » قرأها بصوت عال ثم نظر لى من وراء عويناته التى تلتمع فى الضوء ، فقلت :

ـ « ما هذا الهذيان ؟ »

قال فى كآبة :

ـ « جوبيلا جوبيلو جوبيليم .. جوبيلا معناها أن كاتب هذا الكلام ينفى مسئوليته تمامًا عن قتل السيد (حيرام أبيف) !! .. جوبيلو قسم يدعو فيه العضو أن يتمزق صدره ويخرج قلبه من صدره لو كان قد تآمر على قتل السيد العظيم (حيرام أبيف) ... جوبيليم ويتمنى أن تمزق أحشاؤه وتلقى فى أرجاء الأرض لأنه هو المسئول الحقيقى عن موت السيد العظيم (حيرام أبيف) ... »

ـ « عم تتكلم بالضبط ؟ .. من حيرام أبيف ؟ »

قال وهو ينهض :

ـ « هذا قتل طقسى .. بعبارة أدق هو طقس ماسونى لا شك فيه .. »

- 4 -

صاحت أميمة بلهجة آمرة أن على الرجال ألا يحملوا الجثة لداخل المطعم . بدا لنا هذا على قدر من القسوة ، لكن تفكيرها عملى على كل حال .. لن يأتى زبائن كثيرون لمطعم تلوثت أرضيته وبساطه بالدم .. الفتاة ماتت على كل حال فلن يحدث الأمر فارقًا بالنسبة لها .

هكذا أرقدنا الفتاة فوق العشب فى المدخل ، وطلبنا قدوم المأمور ..

من داخل المطعم خرج الشاب فيك الذى قابلناه فى محطة الوقود ، ومعه الطبيب الذى يشبه كلب الماستيف .. د . روبرت إيركهارت .. كان من الواضح أنه يتناول عشاءه لأنه كان يربط منشفة الطعام حول رقبته بتلك الطريقة الحمقاء التى تذكرك بالأطفال الرضع ..

نظر لنا فى دهشة فذكر له رفعت بعض المصطلحات اللاتينية .. هما طبيبان يفهمان بعضهما ..

هز الطبيب رأسه غير مصدق ، وقال بصوت يرتجف :

- « هذه المدينة تمر بفترة عصيبة فعلاً .. يبدو أن الشيطان يجول فى الشوارع »

قال رفعت فى حيرة :

- « أين الفتاة الأخرى ؟ زميلتها ؟ أعتقد أنها فى خطر داهم .. »

قال الطبيب :

- « لا أعرف ... أعتقد أنهما تقيمان فى الموتيل عند زيارة المدينة .. ربما زميلتها هناك »

قال رفعت فى توتر :

- « لا بد من إنذارها .. واضح أن هناك قاتلاً يقتل بائعات الهوى .. »

ليندا وجيمى فى الفندق ... أرجو ألا تتحامق ليندا وتجوب الشوارع المظلمة كما تفعل بطلات أفلام الرعب .. يسمون هذا (متلازمة الضحية الغبية) ...

قلت أنا :

- « هناك قاتل يقتل بائعات الهوى وواحد متخصص فى قتل العشاق الشباب .. يبدو أن هذه البلدة متقدمة فعلاً .. »

قال رفعت :

- « ربما هما نفس القاتل .. من يدرى ؟ لا يجب أن يكون متخصصًا لهذه الدرجة .. »

قلت معترضًا :

- « لكنك قلت إن هذا القاتل ماســ.................. .. »

لكنه داس على قدمى ليخرسنى .. لسبب ما لم يرد إذاعة هذه المعلومة .

بعد قليل جاء حشد من الرجال .. وتحول المكان إلى سيرك .. كان المأمور متعبًا ومن الواضح أنه كان غارقًا فى النوم ..

منذ اللحظة الأولى أمكننا أن نخمن أن هذه ليست الحادثة الأولى .. هناك جرائم مشابهة لهذه . انتحى رفعت بالمأمور جانبًا وسأله عن هذا كله ، فقال الرجل :

ـ « حدث هذا لبائعتى هوى من قبل .. إنهن يأتين للمدينة من وقت لآخر .. فى كل مرة نجد الجثة الممزقة بهذه الطريقة .. دقة جراحية غريبة ، ويبدو كأن القاتل استخدم المبضع ليقطع أجزاء معينة ويسرق الكلية .. ثم يكتب لنا بعض الكلمات الغامضة »

سأله رفعت :

ـ « بما أنكم لا تصلون لشىء وتطلبون شرطة ويتشيتا .. هل يجدون أى شىء أو يشكون فى شىء ؟ »

قال المأمور وهو يتحسس كرشه فى رضا :

ـ « إنهم يحققون .. يحققون .. »

وتجشأ أبخرة الخمر ...

انتحيت برفعت جانبًا لنبتعد عن هذا السيرك ، وجلسنا على منضدة فى المطعم . قلت له فى ثقة :

ـ « الأمر واضح .. هذه القرية كلها تمارس طقوسًا ماسونية .. تذكر الكنيسة المهجورة .. تذكر الجثة الممزقة وشعار (جبالو جبالو) .. »

ـ « جوبيلا جوبيلو جوبيليم .. »

ـ « هذا يعنى أننا فى معقل ماسونى .. وعلى الأرجح المأمور والقاضى والشرطة متواطئون .. »

قال رفعت وقد بدا عليه الهم :

ـ « سيكون هذا شيئًا باسمًا فعلاً ، لكن الحياة أعقد من هذا ... لا أشعر فى جو الكنيسة والعاشقين القتيلين بأى شىء ماسونى . الكتاب العتيق الذى وجدناه لا يتضمن أى كتابة أعرفها .. »

ـ « إذن ؟ »

ـ « هناك شىء ما لا نعرف ما هو .. »

ـ « والحل ؟ »

ـ « الحل أن نغادر المدينة المجنونة بأسرع ما يمكن .. »

هذا منطقى ولكن كيف ؟

نظرت للمطعم حيث كان الرجال يتشاورون بصوت عال كأنهم يتشاجرون ، ورأيت (فيك) فتى محطة البنزين الوسيم يجلس إلى منضدة وأمامه الفتاة الوجودية الرسامة .. روزالين .. كانت ترتجف رعبًا بعد الحادث ، وقد أمسك يدها بيده المضمدة وراح يشع من عينيه الثقة والحنان . لا تخافى .. لن تموتى ...

جو متوتر جدًا لا يناسب قصص الحب ..

ظهرت أميمة من مكان ما .. بدت كنمرة فاتنة رشيقة وهى تضع يديها فى خصرها وتصيح بصوت آمر فى حشد الرجال :

ـ « أرجو أن ترحلوا وتأخذوا جثتكم معكم .. هذا موذ للبيزنس .. »

كأن هناك زبائن غرباء هنا .. الكل يعرف الكل ولا توجد أسرار .. لكنها مصرة على التعامل كأنها صاحبة مطعم محترفة . يا لجمالك !!!... هذا وجه خلق كى يجعل الرجال ينسحقون ..

نهض فيك وتناول كف روزالين ومشيا نحو الباب ..

سمعت صوت سيارة تهدر .. واضح أن معه سيارة وقد اصطحبها معه . هل يعودان للموتيل ؟ بمناسبة الموتيل .. أعتقد أن الوقت قد حان للعودة إلى هناك فأنا لا أحب ترك جيمى وليندا فى هذا الجو . أنا أب مخلص وزوج بار لكنى كذلك ذو حساسية خاصة للجمال ..

نهضنا أنا ورفعت واتجهنا للباب فصاح المأمور :

ـ « لا تغادرا البلدة قبل أن تخبرانى .. »

تبادلت نظرة مع رفعت .. هذا طبيعى بعد ما كنا أول من وجد ثلاث جثث فى ليلة واحدة ، لكن إلى أين يظننا هذا الأحمق ذاهبان ؟ نحن سجينان هنا .. بل سجينون هنا .. لا تنس أننا أربعة ..

قال رفعت ساخرًا :

ـ « تفاؤل هذا الرجل يروق لى .. أن تطلب من رجل مشلول أن يظل فى مقعده ولا ينهض .. »

مشينا فى الظلام ، ومن بعيد رأينا ضوء سيارة يبتعد .. واضح أنه فتى المحطة (فيك) ومعه فتاته الجديدة ..

ستكون ليلة رومانسية بلا شك .. الليالى التى تبدأ بجثة ممزقة تكون ساحرة ..

قال رفعت وهو يلهث من الجهد ومن البرد ومن التوتر ومن الربو ومن ضعف عضلة القلب ومن الارتباك ومن .... قال :

ـ « أنت تعرف ما أعرفه .. »

ـ « فعلاً .. لكن أتمنى معرفة هذا الذى أعرفه .. »

قال لاهثًا :

ـ « سوف نضطر لسرقة سيارة نغادر بها هذه المدينة ! »

- 5 -

عندما عدنا للموتيل كان بنيامين دوجلاس يتشاجر مع زوجته بصوت عال فى الغرفة الداخلية ... كانت تلومه على إفراطه فى احتساء الخمر كما هو واضح ، وهو يقول لها إنه سيشرب ما يشاء لأنه رجل ناضج ..

خرج لنا من الداخل وهو يشتم :

- « بقرة غبية .. »

ابتسمنا مقدرين ولم نتكلم .. كان بالطبع يتوقع أن نبدأ محادثة عن النساء لكننا لم نكن نملك البال الرائق . ثم اتجه كل واحد منا إلى غرفته .

كانت لندا وجيمى نائمين بعد يوم عنيف حافل بالتوتر ، فارتميت على الفراش بكامل ثيابى ورحت أنظر للسقف ...

كما قال رفعت يجب أن نسرق سيارة .. يجب .. سيارتنا لن تتحرك وعلى الأرجح سنكون ضحية قادمة ..

فيما بعد سوف أعرف تاريخ هذه البلدة وهل هى من عبدة الشيطان أم معقل ماسونى أم هى من بلدان لافكرافت التى تعبد كتولو وتمارس عقيدة داجون ..

المهم أن نرحل ثم نحاول الفهم وأنت بعيد ..

فى النهاية أطفأت النور وغبت عن الوجود ....

....

* * *

فى الحقيقة غبت ساعة ونصف الساعة ، لأنى صحوت على ليندا تئن بلا توقف ..

نهضت فوجدتها جالسة فى الفراش تمسك بمعدتها وتغطى فمها .. لما رأتنى قالت وهى تضغط على فم المعدة :

- « القرحة .. إنها تؤلمنى .. كل هذه الانفعالات .. هارى ... أنا ... »

وفجأة نهضت مسرعة إلى الحمام وركعت أمام المرحاض وأفرغت معدتها ..

أوووووووووووووووووووو ع !

جريت خلفها لأساعدها .. كان المرحاض ملوثًا بالقىء لكنى استطعت كذلك أن أرى خيوط الدم . هذه قرحة تنزف .. الأمر خطر ..

كانت شاحبة وقد بردت أطرافها فحملتها إلى الفراش ، وكان جيمى قد صحا من النوم مذعورًا مما جعل أعصابى فى حالة سيئة ..

رفعت ! .. رفعت ! .. من المفيد أن يكون صديقك طبيبًا حتى لو كان تالفًا مستعملاً يمكن أن يموت فى أى لحظة ..

ركضت لغرفته وقرعت الباب فى جنون .. افتح يا أبله .. افتح ...

لا يستيقظ ... من الوارد جدًا أن يكون قد مات .. من مصلحته أن يكون قد مات مع كل هذا الصمم ..

جريت إلى اللوبى ورحت أدق الجرس فى جنون . بعد دقيقتين ظهر بنيامين دوجلاس بكامل ثيابه وواضح أنه لم ينم بعد . رائحة الخمر تفوح منه وخطوته غير ثابتة ..

- « زوجتى .. نزف .. إسعاف ... إلخ .. »

بدأ يفهم بعض هذه الضوضاء فحك رأسه مفكرًا وقال :

- « لا توجد إسعاف هنا .. لو احتجت لمستشفى ستنقلها إلى ويتشيتا .. »

يا لهذه المصيدة القذرة .!.. سوف أسرق سيارة .. لا شك فى هذا ...

لكن لأنج من هذا الموقف أولاً ...

أردف دوجلاس وقد رأى الهلع فى وجهى :

- « لكن من الوارد أن تطلب دكتور إيركهارت .. بيته قريب من هنا على اليمين .. جوار شجرة الصفصاف على قارعة الطريق .. »

الطبيب الذى قابلناه فى محطة البنزين صاحب وجه كلب الماستيف ..

لم أعلق وانطلقت أركض فى الشارع المظلم .. الهواء البارد ونباح الكلاب .. شجرة الصفصاف .. بيت من طابق واحد عليه لافتة بحجم صفحة هذا الكتاب (روبرت إيركهارت - طبيب عام) . وثبت على ثلاث درجات ووضعت يدى على جرس كهربى صغير بلا توقف .. لا بد أننى أحدثت عاصفة بالداخل .

بعد قليل انفتح الباب وظهر الطبيب ذو الوجه الكئيب وهو يلبس الروب . عيناه تتساءلان فشرحت له الكارثة وأنا أرتجف .. بدا قلقًا أكثر منى ..

غاب لحظات ثم عاد حاملاً حقيبته .. وجرى خلفى وهو ما زال بالروب وخفى البيت . واجتزنا لوبى الموتيل أمام عينى دوجلاس المنتفختين ..

هناك على الفراش كانت ليندا تتلوى ألمًا وجيمى يبكى . وقف إيركهارت يرمق المشهد ثم ضغط على معدتها فصرخت .. قال فى هم :

- « قرحة نازفة ... يجب أن أحقنها .. »

- « افعل ما تشاء .. »

فتح حقيبته وأخرج محقنًا وأمبولاً هشمه ببراعة ثم ملأ المحقن وطلب منى أن أكشف فخذها ..

فى هذه اللحظة فوجئت بأن رفعت إسماعيل يقف جوارى .. لقد استيقظ ..

قلت له فى غيظ :

- « كنت نائمًا كالمومياء .. هذه عادتك عندما تدلهم الأمور .. »

لم يعلق .. فقط هز رأسه محييًا الطبيب ثم قال :

- « لحسن الحظ أنك هنا يا دكتور .. لا أملك فى حقيبتى سوى بعض أقراص الأسبرين وأدوية الإسهال .. وأدويتى الخاصة .. »

قلت له مستفزًا :

- « أدويتك الخاصة !.. أى أن لديك صيدلية فى جعبتك .. لا بد أن معك أدوية للسرطان والسكرى والتبويض و .. من العجيب أن يكون هناك مرض لست مصابًا به .. »

السبب الوحيد الذى يجعل رفعت لا يصاب بتكيس المبيضين أو سرطان عنق رحم أنه ذكر ..

اتجه الطبيب بالسن لفخذ ليندا ، بينما تناول رفعت الأمبول الفارغ وتأمله .. فجأة امتدت يده لتقبض على يد الطبيب :

ـ « لحظة .. بماذا تحقنها ؟ »

نظر له إيركهارت فى دهشة وقال :

ـ « ديكلوفيناك ! ماذا فى الأمر ؟ »

انتزع رفعت المحقن من يده دون كلمة وأفرغه على السجادة ، ومد يده للحقيبة بلا استئذان .. وبحث فيها ... ثم تناول أمبولاً وملأ المحقن من جديد ثم انتقى وريدًا فى ذراع ليندا وحقن ...

قال إيركهارت فى غضب :

ـ « بأى حق تفعل هذا ؟ »

ـ « بحق أننى طبيب .. »

ثم نظر لى مفسرًا :

ـ « ديكلوفيناك .. مادة مما نسميه مضادات الالتهاب غير الستيرويدية NSAID'S .. عقار مسكن فعال لكنه يمزق المعدة تمزيقًا .. ويمكن أن يقتل مرضى القرحة النازفة ! »

صحت فى ذهول :

ـ « إذن لماذا ؟ »

ـ « كنت أعتقد أن طبيب قرية كهذه جاهل بالتأكيد ، لكن ليس إلى هذا الحد .. أما أنا فبحثت فى الحقيبة عن عقار يعالج الحالة .. من حسن الطالع أننى وجدت فيها عقارًا حديثًا جدًا اسمه (تاجامت)(*) يستخدم فى شفاء القرحة . وقد حقنتها به .. سوف نكرر هذا ونسقيها الماء المثلج .. أعتقد أنها لن تحتاج لمستشفى .. »

نظرت للطبيب فاحمر وجهه وبرزت أوردته غيظًا وصاح :

ـ « هذا غير مقبول .. كان هناك ألم شديد وأردت تسكينه .. لا أسمح لأحد .. »

لكنى كنت قد فقدت أعصابى كالعادة .. انحنيت أجره من ياقة الروب وهو يحاول التملص ويطلق السباب ، فاتجهت به إلى باب الموتيل وألقيته أرضًا ، ثم وجهت له ركلة فى ردفيه :

ـ « يا طبيب الشؤم !.. كنت ستقتل زوجتى قتلاً ! »

نهض وراح يطلق السباب دون أن يجرؤ على الدنو منى .. ثم ابتعد ركضًا متحسسًا مؤخرته وهو يصيح :

ـ « حقيبتى !.. حقيبتى يا لص ! »

من الواضح أنه لن يطالب بأجر ...

رآنى دوجلاس أعود فقال فى استمتاع :

(*) السايمتدين أو التاجامت كان حديثًا وقت أحداث القصة طبعًا .. الحقيقة أنه صار عقارًا قديمًا جدًا .

- « لا بأس بعلقة لهذا البغل العجوز ... لا أحد ينجو على يده أبدًا ولعل زوجتك سعيدة الحظ .. »

عدت للغرفة حيث كان رفعت يجلس على الفراش جوار ليندا ويحتضن جيمى ليهدئ من روعه . قالت ليندا وقد بدأ لونها يتحسن :

- « أعتقد أننى أفضل حالاً .. »

قام رفعت إلى الحقيبة التى تركها الطبيب المذعور وراح يستعرض محتوياتها ..

قال فى دهشة :

- « عدد كبير من أمبولات المورفين والبتيدين .. »

قلت فى غيظ :

- « لعله مدمن بدوره »

- « لا أظن ... »

ثم راح يعبث هنا وهناك .. أخرج عددًا كبيرًا من المباضع والمدى . قال فى شك :

- « هل هذا الرجل جراح ؟ حتى لو كان يمارس الجراحة على نطاق ضيق ككل أطباء البلدان الصغيرة فلا أتوقع أن يحمل كل أدوات التشريح هذه .. ولا توجد بكرة خيط أو إبرة .. هذه حقيبة غريبة الأطوار .. »

ثم أخرج علبة صغيرة طويلة يبدو كأنها علبة ألوان ماء .. الألوان المحفوظة فى قنائن صغيرة كالحبر ..

- « وهذه ؟ »

- « لا أعرف .. الطبيب لا يحتاج لألوان ماء .. »

ثم مد يده وأخرج منشفة ملوثة بالدم الطرى .. قال فى اشمئزاز :

- « وهذا الدم ؟ هل أجرى جراحة منذ ساعات ؟ ولماذا يحتفظ الجراح بمنشفة ملوثة بالدم فى حقيبته ؟ »

ـ 6 ـ

وسيم هو هذا الفتى (فيك) وله عينان حالمتان جميلتان ..

لقد كان يقود السيارة جوار روزالين وخصلات شعره تتطاير فى الهواء ، بينما الظلام يغطى معظم قسماته .. فقط يسقط الضوء من حين لآخر على ملامحه القسيمة ..

أشعل لفافة تبغ بيده السليمة بينما يمسك المقود بيده المضمدة وقال لها :

ـ « روز .. أنا أشعر بأننى أعرفك منذ دهور .. من حسن حظى أن سيارتك معطلة .. »

وتنهد وقال :

ـ « سوف تصلحينها وترحلين وعندها تنتهى هذه الصفحة من حياتى .. »

قالت كالحالمة :

ـ « سأعود .. »

ـ « لست أول فتاة تقول هذا ثم لا تعود .. أشلى مدينـة صغيرة بائسة وأنا مجرد عامل فى محطة بنزين .. »

أدركت أنها موشكة على نسيان منظر الجثة الممزقة على باب المطعم . يمكنها نسيان كل هذا الرعب . سوف تنام على كتفه إلى أن تقوم الساعة . سوف يكون صدره قبرها الذى تغيب فيه للأبد .

قال لها :

ـ « هل تعرفين أن نهر الميسورى قريب جدًا ؟.. سوف أجعلك ترينه .. سوف نكون معًا طيلة الليل ، وسوف تعودين للموتيل مع الصباح .. »

تخيلت نهر الميسورى فى الليل و(فيك) والإثارة ..

قالت له بصوت هامس :

ـ « لماذا أنا بالذات ؟ »

ـ « لأنك أنت ! »

ثم رأى أن يفسر نفسه أكثر فقال :

ـ « منذ مراهقتى لدى ميل للفتيات البيضاوات ذوات الشعر الأسود الطويل المفروق .. ويلبسن السروال .. »

قالت فى غيظ :

ـ « إذن أنا أمثل لك نوعًا من التوثين (الفتيش) لا أكثر .. الأمر لا يتعلق بشخصى .. »

ضرب جبهته فى غل وقال :

ـ « أنا أرتكب أخطاء كلامية شنيعة .. أردت القول إنك تجسيد لكل أحلام مراهقتى . أعتقد أننى أحبك فعلاً ... »

كان الليل يحيط بهما كأنهما يسبحان فى بحر من الأحلام السواد فى كل مكان .. السواد ....

أخيرًا كانت هناك مساحة من الخضرة الغافية ليلاً ، وهناك سقف من النجوم المتلاصقة المضيئة كأنها ماس متناثر . ومن بعيد يمتد النهر .. نهر ميسورى الذى سمعت عنه ولم تره ..

ترجلت من السيارة ومشت فى تؤدة نحو النهر ، تراقب المياه التى تتلألأ .. كأنها تغسل ضوء النجوم ..

فى هذه الليلة يمكن أن يحدث أى شىء ..

أنا أحبك يا (فيك) وأثق بك .. أنا أحلم .. لا بد أننى أحلم فالحياة لا تتسع لكل هذه النشوة ... لا بد أن النشوة ستملأ الكون وتسيل من أطرافه لتغرق أكوانًا أخرى ..

أثق بك يا (فيك) ..

أثق بك ..

حتى وأنت تنهال على مؤخرة رأسى بهذه العصا الثقيلة فأسقط أرضًا ...

★ ★ ★

(فيك) .. لماذا فعلت ذلك ؟ كنت أحبك بحق .....

★ ★ ★

فى الصباح الباكر تناولنا وجبة الإفطار مع الطقوس المعتادة .. لم تلحق بنا ليندا بسبب اعتلال معدتها لكن جيمى كان معنا . الفتاة الوجودية الرسامة لم تكن هنالك ، وقال رفعت باسمًا :

- « لا بد أنها لم تعد بعد .. ما زالا يشاهدان الليل والقمر .. »

- « الشمس أشرقت منذ ساعات .. »

- « ليس فى عالم العشاق .. هم ينظرون للشمس فيرون القمر .. »

كان الرجل جاحظ العينين الذى عرفنا أن اسمه (فريدى ويليامسون) هناك يلتهم الإفطار ، ورفع الشوكة على سبيل التحية ثم واصل التهام الطعام . لم نتبادل أسئلة لكن نظرته العليمة بالأمور ، الساخرة قليلاً أثارت غيظى . نظرة من طراز (ألم - أقل - لكم) ؟

قلت لرفعت بصوت خفيض :

- « هناك أشخاص لا يبعثون الراحة فى النفس أبدًا .. يمكن أن تقضى وقتًا أمتع مع سحلية إجوانا .. »

قال رفعت وهو يقضم البسكويت :

- « كل الأطباء المهتمين بالظواهر الخارقة لا يطاقون وعلى قدر من الجنون ! »

ثم هشم قطعة ودسها فى فم جيمى ..

قال جيمى وهو يلوك القطعة :

- « داد .. أريد اللهو مع سارة .. »

قلت له إن بوسعه اللهو مع سارة حتمًا برغم أننى لا أعرف من سارة هذه ..

قال لى إنها صديقة أمس التى قابلها فى الكنيسة المهجورة .. أو المعبد المهجور للدقة ..

ذكرنى رفعت :

ـ « الفتاة ذات القزحيتين مختلفتى اللون .. لها أخ أو صديق يشبهها .. »

عاد جيمى يكرر :

ـ « قالت لى إن الطبيب هو الذى فعل ذلك .. لقد لون لها كل عين بلون !!! »

تبادلت ورفعت النظرات .. كان هذا طبعًا قبل أن يكتشف الطفلان جثة العاشقين الشابين .. ما معنى هذا ؟ هناك قصة مماثلة فى التاريخ .. الطبيب النازى المخبول الذى جرب على الأسرى اليهود كل لعبة ممكنة وكل تجربة خطرت بباله .. خطر له أن يحقن قزحيتهم بالأصباغ ليجرب تغيير اللون ، وقد أجرى هذا على أطفال كثيرين . وفى وقت واحد لفظنا الاسم :

ـ « يوسف منجيل !!! »

طلبت من جيمى لو كان قد فرغ من إفطاره أن يعود لأمه .. كان يريد أن يلعب مع سارة ، لكن الوقت ليس مناسبًا بالتأكيد . فيما بعد .. فيما بعد .. ما لم تحتاج إلى رجل يحميها حاليًا لأنها مريضة .. يجب أن تقتل أى مجرم يتسلل للغرفة ..

فلما ابتعد دنوت من رفعت وهمست بحيث لا يسمعنا المدعو ويليامسون المزعج :

ـ « هكذا تلتقى كل علامات الاستفهام .. الطبيب مجنون خطر .. يقتل بائعات الهوى ويشرحهن بدقة ممتازة .. يجرى جراحات على عيون الأطفال ... غالبًا يحقن مرضاه بالسم .. »

ثم ابتلعت ريقى وقلت :

ـ « دكتور هارولد شيبمان .. الطبيب البريطانى الذى قتل ٢١٥ مريضًا بحقن سامة . كان يتظاهر بحقنهم بالعلاج ثم يحقنهم بالسم أو بعقار المورفين .. هل يذكرك هذا بشىء ؟ كاد يحقن ليندا بمادة سامة أمس »

قال رفعت مفكرًا :

ـ « بالإضافة للدقة الجراحية التى تم بها تشريح جثة الفتاة ... وكما قال المأمور تكرر هذا من قبل ... الأمر يشير لطبيب كما هو واضح ... »

ـ « وهل هو الذى قتل العاشقين بالرصاص ؟ »

ـ « على الأرجح هو .. لا أتصور وجود قاتلين فى مدينة واحدة بهذا الحجم .. »

رفعت رأسى لأرى إن كان ذلك الفريدى ينظر لنا .. على الأقل لن يسمع ما نقول .. ملت برأسى على رفعت وقلت همسًا :

ـ « أعتقد أنه لا بد من تفتيش بيت الطبيب .. الدليل هناك .. »

ـ « ولماذا لا تبلغ شكوكنا للمأمور ؟ »

ـ « لأن الناس تثق بجيرانها أكثر مما تثق بغريبين مثلنا .. لو قلنا له شيئًا كهذا لانقلب علينا . هل جننتما ؟ تتهمان الطبيب الطيب ؟ »

ثم نظرت حولى وقلت :

ـ « سوف نتظاهر بأننا نعيد له حقيبته .. ننتظر حتى يغادر البيت ثم ندق الجرس .. وننتظر من جديد ونندهش لأنه لا يرد .. من ثم نفتح الباب ! »

ـ « خطة محكمة فعلاً ! »

رفعت يمقت الخطط الغبية ، لكن لا يوجد حل آخر فى رأيى ..

★ ★ ★

لهذا تروننى أنا ورفعت نتقدم فى الشارع ..

البيت قرب المطعم .. الشارع الضيق .. جوار شجرة الصنفصاف ..

لافتة بحجم صفحة هذا الكتاب تقول (روبرت إيركهارت ـ طبيب عام) . صار المكان مألوفًا .. يعرف القارئ طبعًا أننا انتظرنا فى سيارتى لنرى المشهد من بعيد .. انتظرنا طويلاً وفى النهاية رأينا الرجل الذى يشبه كلاب الماستيف يغادر الدار ... ثم يستقل سيارته ..

لسبب ما يركب هؤلاء القوم سيارات فى مدينة بهذا الحجم الصغير ..

كما يفعل كثير من الريفيين أو أهالى المدن الصغيرة ، وضع المفتاح تحت ممسحة الأقدام ثم ابتعد .. هذا جميل .. سوف يعفينا من البحث عن نافذة نقفز منها ..

لما أدركنا أنه على الأرجح لن يعود ، تقدمنا ..

قرعت الباب عدة مرات خشية أن يكون متزوجًا وترد زوجته .. لسبب ما كنت متأكدًا من أنه أعزب .. قال رفعت ما أفكر فيه :

ـ « لا تتعب نفسك .. طابع هذا الطبيب هو نمط الأعزب المجنون المريض نفسيًا .. »

قلت لاهثًا :

ـ « أعرف واحدًا من هذا الطراز .. »

ثم وضعت الحقيبة على الأرض ومددت يدى أتناول المفتاح من تحت الممسحة ..

ـ « هذه جريمة فيدرالية .. لن أتكلم إلا فى حضور محام وأتمسك بالتعديل الخامس .. »

قالها رفعت متظرفًا فنظرت له فى غيظ ، وأولجت المفتاح ودخلنا ..

شقة ضيقة لكنها مريحة .. ثمة مصباح خافت يجعل الرؤية ممكنة لكن النوافذ كلها مغلقة .. مشينا فى حذر خشية أن نسقط شيئًا ..

هناك صورة كبيرة بألوان السيبيا لرجل من العصر الفكتورى .. يقف فى غرور وينظر لنا فاتحًا بذلته كاشفًا عن صديرى تتدلى من جيوبه سلسلة ساعة ... تشبه الصور التى تراها فى بدايات المراجع الطبية .. لا بد أنه طبيب ولا بد أنه يحمل لقب سير .. بل لا بد كذلك أن هناك مرضًا شهيرًا يحمل اسمه ...

قلت لرفعت :

ـ « هذا هو المرحوم الوالد ؟ »

ابتسم رفعت فى عصبية وقال :

ـ « صورة غريبة .. من النادر أن ترى من يعلق صورة سير (ويليام جال) الطبيب البريطانى الشهير .. طبيب الملكة فكتوريا الشخصى .. مكتشف مرض الميكسديما Myxoedema (نقص نشاط الغدة الدرقية) وداء برايت Bright (التهاب الكلية الحاد) وفقدان الشهية العصبى Anorexia nervosa ... ومن المهتمين بعلم قراءة الجماجم Phrenology . كما أن له قصة أخرى يطول شرحها .... »

ـ « اهتمام علمى محمود .. جميل أن يعلق المرء صور العلماء .. أنا أعلق فى غرفتى صور بيتى بيدج المغرية بالمايوه .. »

واتجه رفعت إلى خزانة ليفتحها .. ثم ذهب إلى الثلاجة وتفقدها بعناية .. كانت خالية تمامًا ..

هل هذا صوت سيارة فى الخارج ؟

تجمدنا للحظات ومعنا تجمد الدم فى العروق .. ثم سمعنا رجلين يتكلمان فى الشارع .. ليس الصوت هو الصوت لحسن الحظ ..

قال رفعت فى عصبية :

ـ « فلننه هذه المهمة بسرعة .. »

ودلف إلى المطبخ وراح يتفحص كل شىء .. ثم خرج قاصدًا غرفة المكتب .. أضاء النور الكهربى وسمعته يشهق فلحقت به ..

لقد حول الطبيب غرفة المكتب إلى مختبر صغير فيه مجهر .. وفيه سرير كشف .. سرير كشف من الطراز الذى يسمح بتقييد المريض . هناك عدة أوان مليئة بمادة الفورمالين ذات الرائحة القوية .. اتجه رفعت لتلك الأوانى وتفحصها ثم التقط بعض الأنسجة من أحدها بمبضع وغمغم :

ـ « كلية بشرية ....!.. وهذا رحم !!! »

ثم نظر لى وهمس :

ـ « الأمر واضح .. الدكتور إيركهارت هو قاتل بائعات الهوى ... يكرر ذات القصة الشهيرة عن جاك السفاح فى لندن الفيكتورية . (جاك السفاح) هو القاتل التتابعى البريطانى الذى مارس نشاطه فى النصف الثانى من عام 1888 ، وفى منطقة محدودة من وست إند فى لندن هى (وايتشابل) ، وبالذات مع مجموعة من بائعات الهوى اعتدن اللقاء فى حانة (الأجراس الأربعة) . سبع فتيات ذبحن ، وتم تمزيق أحشاء جميع الفتيات . الأعضاء انتزعت بدقة تشريحية ممتازة جعلت فكرة أن القاتل طبيب أو قصاب واردة فى كل التحريات . قيل إن القاتل سيد مهذب يلبس ثيابًا سوداء وقبعة متدلية ، وفى يده حقيبة سوداء لامعة . ثم هناك بعض العبارات ذات الطابع الماسونى .. مما دعا البعض إلى الاعتقاد أن الجرائم ارتكبها سير (ويليام جال) طبيب الملكة فكتوريا الذى كان ماسونيًا وعلى قدر من

الخبال ، وقد نفذ الجرائم بطريقة طقسية مميزة . أنهى جال حياته فى مصحة عقلية على كل حال لكن لماذا يعلق إيركهارت صورته ؟ »

ـ « يا للهول ! »

هرش رفعت رأسه وقال مفكرًا :

ـ « لكنى لا أفهم هذا الخلط بين د. ويليام جال ود. منجيل ود . هارولد شيبمان .. كأن الرجل وضع كل الأطباء المجانين فى خلاط .. »

ثم أعاد الأنسجة للوعاء ونظر فى ساعته وهمس :

ـ « حان الوقت كى نفر .. سوف نتدارس الأمر بالتفصيل فيما بعد .. »

هنا سمعنا من خارج المكتب صوتًا مميزًا يقول بلهجة آمرة :

ـ « اخرج من هنا رافعًا يديك !! لن أكرر الأمر مرتين !!! »

ـ 7 ـ

هناك كان يقف خارج غرفة المكتب .. لقد صار نسخة من كلاب الماستيف فعلا . لو أن هذه الكلاب صارت شرسة لها نظرة مجنونة فى العينين ..

إريكهارت الطبيب المجنون .. الخليط السحرى من جال ومنجيل وشيبمان .. لنا الشرف ..

كان يصوب لنا مسدسًا ويقف فى وضع متحفز ..

رافعًا يدى أنا ورفعت وقفنا خارج المكتب ..

على بعد خطوات منه وجدت حقيبته على الأرض ..

قال وهو يلهث فى نشوة النصر :

ـ « تتركان حقيبتى جوار الباب .. ثم تتركان الباب مواربًا .. كانت رسالة واضحة تدل على الحمق .. »

قلت ضاغطًا على أعصابى :

ـ « ليكن .. نحن لصان .. أرجو أن تسلمنا للشرطة كى تحمى المجتمع منا .. »

فكر قليلًا ثم قال :

ـ « بالطبع لا .. لدى مشاريع أكثر نفعًا لكما .. بالمناسبة لم تدفع لى ثمن الكشف المنزلى .. »

قلت :

ـ « لو تركتنى أنزل يدى لاستطعت البحث فى جيبى .. »

ـ « عبقرى .. »

ثم تأمل المسدس شاردًا وقال :

ـ « أعتقد أننا سنخرج فى سيارتى إلى بقعة خارج البلدة ثم ننهى الأمر .. »

قال رفعت :

ـ « هذا يعنى أنك بالفعل من أعتقد أنك هو .. أنت تعيد مجد ويليام جال ومنجيل »

لم يرد الرجل فسألته أنا :

ـ « وهل تستخدم المسدس كذلك ؟ هل أنت من قتل الشابين العاشقين على طريقة زودياك ؟ »

ـ « لا .. لا أحب المسدس إلا فى حالات نادرة .. هذه حالة منها »

ثم أشار للباب ودس يده فى جيب معطفه وقال فى تهذيب :

ـ « تقدمانى لو سمحتما .. »

★ ★ ★

هنا قام رفعت بلعبة رأيته يمارسها من قبل مرارًا ..

شهق ثم سقط على ركبتيه وارتمى أرضًا .. لعبة فقدان الوعى التى تشتت الشخص الذى يهدده للحظة . هناك لحظة من رد الفعل ومحاولة الفهم .. ثم أن أحدًا لا يقتل رجلًا فقد وعيه .. لا بد من لذة قتل شخص منتبه ..

أطلق الطبيب سبة وهتف :

ـ « يا للشيطان !... إن هذا الرجل .. »

حان وقتك يا هارى .. هارى القوى الجرىء مكتنز العضلات سوف يلعب دوره .. فوهة المسدس بعيدة عنى .. وجه الطبيب ينظر لرفعت فى حيرة . تلقيت الرسالة بسرعة ووثبت .. يد على فوهة والمسدس ، واليد الأخرى تنهال بلكمة على وجه الرجل ..

تطاير بعض الدم من فمه وقال شيئًا .. هنا أسقطت المسدس من يده ، ثم لكمة أخرى ... سقط على الأرض فعاجلته بركلة .. فى النهاية رقد على الأرض .. كنت مذعورًا غاضبًا لذا عصفت بعقلى نوبة سادية جعلتنى أثب وثبة واحدة ثم أهوى فوق ضلوعه بكل قوتى ..!

نهض رفعت مذعورًا وصرخ :

ـ « رباه !.. أنت قتلته !! »

بالفعل هذا واضح ... سمعت صوت الضلوع تتهشم ، وخرج الدم من فمه بغزارة .. قلت لرفعت وأنا ألهث :

ـ « هذا دفاع عن النفس .. لا شك فى هذا .. »

ـ « دفاع مبالغ فيه عن النفس .. لقد سقط أرضًا وانتزعت المسدس .. لم يكن هناك داع للحماس الزائد .. »

ساعدته على الوقوف وقلت :

ـ « سنبلغ المأمور .. »

قال فى رعب :

ـ « لن نفعل هذا .. ببساطة سنفر من البلدة .. سنسلم أنفسنا لشرطة بلدة مجاورة يتمتعون بالعقل .. بلدة غير غامضة ولا شيطانية كهذه .. أراهن لو أننا سلمنا أنفسنا هنا لشنقونا دون محاكمة فى الميدان .. »

كلام منطقى ولا شك ..

الليل يزحف .. بينما نحن نغادر البيت المخيف ...

سيارة الطبيب تقف أمام البيت فى الظلام .. تكفى نظرة واحدة لتدرك أن المفاتيح فى الداخل . الناس فى هذه القرى والبلدان الصغيرة يتركون المفاتيح فى السيارات . جلس رفعت خلف المقود وأدار المحرك .. انطلقنا نحو الموتيل فترجلت وجريت إلى الحجرة ..

ليندا قابلتنى بعينين مندهشتين فقلت لها :

ـ « لا وقت للتفسير .. دعينا نرحل وسنناقش التفاصيل فيما بعد .. »

جمعتُ الحقائب بسرعة .. وهرعتُ لغرفة رفعت فكومت ثيابه كيفما اتفق فى حقيبته .. يا للون مناماته السخيف !... وأخذتها معى ..

وهرعت أنادى مستر دوجلاس .. فى دقيقتين فرغت من دفع الحساب .. حك صدره المحمر وقال لى فى خمول :

ـ « بهذه السرعة ؟ »

ـ « هناك أقارب لنا مرضى .. يموتون ... أنت تعرف هذه الأمور .. »

واندفعنا بالحقائب لنكدسها فى سيارة الطبيب التى يقودها رفعت . وركبنا ..

استطعت بطرف عينى أن أدرك أن ذلك الطبيب الآخر .. النحيل .. ويليامسون يقف فى الظلام يراقب رحيلنا ..

هلم يا رفعت .. أخرجنا من هذا الجحيم ....

انطلق !

★ ★ ★

آخر شىء أذكره هو أننى كنت أركض نحو الباب ..

كان علىّ أن أجد ممرًا يقودنى من حيث جئت ..

قال لى الحارس الليلى : استرخ ..

نحن معدون لاستقبال الضيوف ..

يمكنك أن تترك غرفتك فى أى وقت تريد

لكنك لا تستطيع الرحيل أبدًا ....! »

★ ★ ★

هذا المنحنى جوار محطة البنزين .. يمكننا أن نرى (فيك) ينتظر لنا من بعيد .. ممر جانبى .. لافتة ... الطريق الذى يمر بين الأشجار ..

أخيرًا الطريق السريع ... فى ضوء الكشافات يوحى بالأمل ..

قالت ليندا فى غباء :

ـ « ماذا يحدث هنا ؟ ماذا دهاكما ؟ »

قلت لها :

ـ « سوف أشرح فيما بعد .. اليوم هو أول يوم لى فى مهنة جديدة ! »

قال رفعت من مكانه خلف المقود :

ـ « لا تشرح يا هارى .. ما يمكن قوله هو أن هذه المدينة شريرة .. شريرة إلى أقصى حد .. »

الطريق يمتد ..

ثم لافتة .. بيت القاضى .. محطة البنزين !

ـ « رفعت يا أحمق !... أنت عدت بنا ..! »

قال رفعت فى شك :

ـ « غريب هذا .. على كل حال لم أتمتع بحاسة الاتجاه فى حياتى قط ... أرجو أن توجهنى أنت ! »

بدأت أصدر له التعليمات .. خذ هذا الممر .. در من هنا ..

انطلق .. الطريق السريع .. الشجرة ...

ثم ... محطة البنزين وبيت القاضى !!

هتفت ليندا فى رعب :

ـ « هذا مخيف !! »

قال رفعت :

ـ « سأجرب ثانية .. بالتأكيد نحن نرتكب غلطة فى المنحنيات ... »

ومن جديد انطلقت السيارة ... الطريق السريع .. ممر بين الأشجار ، ثم هتفت ليندا فجأة :

ـ « توقفا .. ثمة شىء ما .. »

ضغط رفعت الفرملة .. إى ى ى ى !.. وقال :

ـ « بالتأكيد هناك شىء ما .. فى كل مكان هناك شىء ما .. »

قالت فى غضب :

ـ « أرجو أن تترجلا .. »

ثم طلبت من جيمى أن يبقى حيث هو ... وطلبت أن يبقى رفعت الكشافات مضاءة ..

ترجلنا جميعًا وأنا لا أفهم ما تفكر فيه .. ثم رأيتها .. هناك تحت الشجرة .. فتاة راقدة .. فتاة تلبس سروالاً .. وقد وجهت وجهها للسماء تنظر لها

بعينين لا تريان . لم تكن روزالين الرسامة الوجودية لحسن الحظ .. لكنها بيضاء مثلها ولها شعر طويل مفروق فى المنتصف وجوارها عوينات مكسورة .. على وجهها ماكياج مجنون لا يمكن أن تكون هى من رسمته لنفسها ..

مد رفعت يده فأدرك أن مؤخرة رأسها دامية .. ثمة نزف حاد .. هناك من ضربها على مؤخرة رأسها كما هو واضح ..

راحت ليندا تشهق وترتجف فى حالة هستيرية تامة ، وراحت تضرب خديها مرددة :

ـ « ماذا يحدث هنا ؟ ما سر هذه المدينة ؟ »

ثم تذكرت شيئًا فهتفت :

ـ « الفتاة روزالين الرسامة تشبه هذه جدًا .. وهى لم تعد للفندق منذ أمس . لا شك أنها لاقت نفس المصير .. »

قال رفعت وهو يمسح يده فى لحاء الشجرة :

ـ « هذا أدعى كى نواصل الفرار .. هيا بنا .. سوف نبلغ الشرطة فى ويتشيتا بكل هذه القصص .. »

عدنا للسيارة وليندا تحاول التماسك أمام طفلها .. تشهق بلا توقف لمنع المخاط من أن يبلل شعر الصغير ..

من جديد الطريق السريع المظلم ... ثم ..

الشجرة ... اللافتة .. محطة البنزين .. بيت القاضى ...!!

هتفتُ فى ذهول :

ـ « مستحيل ! »

قال رفعت فى استسلام :

ـ « هذا ما قاله ذلك الطبيب المخبول فريدى ويليامسون .. لا توجد طريقة لمغادرة أشلى .. أعتقد أنه كان يتحدث عن هذا .. لقد دخلنا فلا خروج لنا إلا محمولين .. كما نقول فى مصر (دخول الحمام مش زى خروجه) .. »

بما أن ليندا شديدة الذكاء ، فقد قالت التساؤل المنطقى الذى غاب عنا :

ـ « ما دامت مغامرة المدينة مستحيلة ، فلماذا اختفت شموع احتراق سيارتنا ؟ حتى السيارة السليمة لا تستطيع المغادرة »

حقًا .. نقطة منطقية ... لربما كان الشيطان يبالغ فى الحذر ..

وفى صمت قدنا السيارة إلى الموتيل .. أنزلنا الحقائب فى مشهد جنائزى صامت ، ثم انطلق رفعت بالسيارة ليتركها أمام بيت الطبيب .. لم يعد الهرب ممكنًا فلا يجب أن نتهم بالقتل....

حتى لو أصلحنا سيارتنا فلا خروج من هنا ..

كنت واقفًا أمام الموتيل فى الظلام ما عدا ضوء مصباح المدخل ، عندما ظهر رفعت قادمًا من حيث ترك السيارة .. كان متجهم الوجه عبوسًا ..

وقف جوارى وظللنا صامتين للحظات .. فى النهاية قال لى :

ـ « طبعًا أنت فكرت فيما فكرت فيه .. هذه الجثة »

قلت وأنا أرتجف :

ـ « تيد بوندى ! »

رفعت مثقف ويعرف جزءًا كبيرًا مما يعرفه أى مواطن أمريكى ، بينما نعرف نحن القليل جدًا عن مصر ..

كان هناك سفاح ظريف وسيم يروق للفتيات جدًا فى التاريخ الأمريكى ، وهذا السفاح ـ من ولاية فرمونت ـ كان يصادق الفتيات ويكسب تعاطفهن لأنه يضع ضمادة على يده .. ضمادة زائفة طبعًا .. ضمادة كالتى يضعها فيك فتى محطة البنزين الوسيم . اسمه تيد بوندى .. كان له طراز خاص فى الفتيات اللاتى يشبهن حبيبته الأولى . نحيلة بيضاء اللون تلبس السروال وتفرق شعرها الطويل فى المنتصف .. يأخذها لمكان هادئ منعزل قرب البحيرة .. ينتهز فرصة شرود الفتاة الغارقة فى أحلام الحب ، ويهوى على مؤخرة رأسها بعصا ثقيلة . وكان مصابًا بالنكروفيليا أو عشق الجثث .. يضع لكل الفتيات من ضحاياه ماكياجًا بعد وفاتهن ..

تيد بوندى قد قبض عليه وهرب من السجن ، ثم قبض عليه ثانية وأعدم بعدما اعترف بقتل ثلاثين فتاة ..

رفعت قد لاحظ التشابه وأنا لاحظته ..

أعتقد أننا نعرف بالتقريب ما حدث للرسامة الوجودية الجميلة روزالين آدامز ..

★ ★ ★

مرحبًا بكم فى فندق كاليفورنيا ..

يا له من مكان جميل !

يا له من وجه جميل ..

ينعمون بالمرح فى فندق كاليفورنيا

يا لها من مفاجأة لطيفة !

هاتوا حجج غيابكم معكم !!!

الجزء الثالث

تلك المدينة

يحكيه فريدى ويليامسون

ـ 1 ـ

« رب هبنى العفة .. لكن ليس الآن !! » .

★ ★ ★

قال فريدى ويليامسون :

مأساة الحياة هى أن عليك الاختيار بين الأغبياء حسنى النية طيبى القلب ، وبين الأذكياء الخطرين كالأفاعى . أدركت أن الضيفين الجديدين ينتميان للقائمة الأولى ..

★ ★ ★

الفتاة الرسامة خرجت ولم تعد .. يمكننى بلا جهد تصور ما حدث .. عندما رأيت الشاب الوسيم الذى يضع ضمادة على يده وتلتمع عيناه بدا لى أن القصة مألوفة ..

أما هما فقد رأيتهما على مائدة الإفطار فى ذلك اليوم .. عرفت على الفور أن أحدهما طبيب ، وعرفت أنهما أحمقان لا يفهمان شيئًا .. لا يعرفان بالشرك الذى وقعا فيه ..

هما ثنائى غريب . الأمريكى قوى وسيم يبدو كأنه هرب من بكرة فيلم سينمائى . العربى ـ الذى عرفت أنه طبيب ـ نحيل جدًا كعود الخلة وكئيب جدًا ومن الواضح أنه عصبى كأفعى الجرس . كما أن ملامحه المقضنة تسبق سنه بكثير .. لو كان هو فى الخمسين فجسده فى الثمانين

التعارف القصير الذى دار جعلنى أعرف أن أحدهما اسمه رفعت والآخر اسمه هارى . الثانى معه زوجة وطفل وهذا جعلنى أشعر بأن موقفى ليس بهذا السوء .. هناك من موقفهم أسوأ .. وعرفت أنهم جاءوا هنا بنفس الطريقة التى جئت بها أنا وكل من ماتوا بلا عودة ... شرطى المرور الجحيمى .. ثم القاضى .. ثم دفع الكفالة .. ثم السيارة المعطلة ..

لكننى الوحيد الذى جاء هنا بإرادته الكاملة ...

السبب هو أننى مهتم بالظواهر الخارقة ... وقد كانت أشلى فقرة مشهورة فى كل كتب الظواهر الخارقة ، وكنت أكتب فى عدة مجلات مهتمة بالظواهر الفورتية وأقيم - وأنا فى سن الأربعين - فى بيت مريح جميل فى جيفرسون سيتى عاصمة ولاية ميسورى ، ولى زوجة لطيفة وولدان رائعان ..

طلب منى مدير تحرير مجلة (ويرد) أن أزوره فى مكتبه ..

لا داعى لوصف (كارلسون) .. ليس هذا مجال الوصف ، خاصة أنه لا دور له فى الأحداث .. فقط قال لى :

- « أنت قريب جدًا من كنساس .. تسمع عن بلدة أشلى .. » .

قلت له لا .. ففتح ورقة أمامه وراح يقرأ منها :

- « الأساطير التى تحيط بهذه المدينة الصغيرة - بسكانها الستمائة - كثيرة جدًا .. يبدو الأمر كأنها مدينة من تلك المدن الغاشمة التى تتلاشى بانتقام سماوى .. »(*) .

(*) القصة حقيقية .. أعنى أن الأسطورة موجودة بالفعل وتسبب ذعر الكثيرين .

ثم شرب جرعة من القهوة وأردف :

- « يتحدثون عن سلسلة أحداث غريبة وقعت فى منتصف أغسطس عام 1952 ثم زلزال .. زلزال جعلها تختفى من على ظهر الأرض .. وعندما وصلت فرق الإنقاذ لم تجد سوى شرخ عميق فى الأرض . ولم يستطع أحد تقدير عمق الشرخ ... » .

قلت له فى استخفاف :

- « سدوم وعمورية القرن العشرين .. » .

- « فكر فى الأمر ككارثة جيولوجية .. مثل كارثة بومبى .. » .

قلت له :

- « جميل .. لكن ما دورى أنا ؟ ولماذا تبعث هذه القصة الآن ؟ » .

قال وهو يقلب ورقة أخرى :

- « التقارير تتوالى من سلاح الطيران .. من المارة عبر الطريق السريع .. هناك لحظات معينة تظهر فيها المدينة .. أضواء مبان وأضواء سيارات .. أشلى تعود للحياة لساعة أو ساعتين ثم تختفى ثانية .. تتصرف كتمساح .. يخرج رأسه وينظر حوله ثم يغطس من جديد .. » .

فكرت فى الأمر وبدا لى مثيرًا فعلًا ..

قال لى :

- « أريد سلسلة مقالات عن أشلى .. لتذهب هناك .. لتقابل الشهود .. أتقرأ ما كتب عنها ؟؟ لتر المدينة إذ تظهر .. قم بعمل تحقيق صحفى »

أصلحت من وضع عويناتى وقررت أن أفعل ..

★ ★ ★

ـ « أشلى خرافة أيها الطبيب .. انس هذا الهراء .. » .

ـ « يقولون أى شىء ليروجوا السياحة .. » .

ـ « أنا رأيت البلدة العجوز ... الشيطان يحبسها فى قبو من أقبيته .. » .

ـ « خمنا بالطائرة حولها مرتين .. كانت تسبح فى الضوء .. فى المرة الثانية لم نر أى ضوء » .

ـ « السيارات التى تمر هناك بعد منتصف الليل تختفى » .

ـ « هذه القصص الفورتية كلها كلام فارغ » .

ـ « هنـاك دائمًا مدينـة تختفى .. كل الثقافات عنـدها مدينـة تظهر وتختفى » .

ـ « كانوا يعبدون لوسيفر العجوز هناك . فانتقم الرب منهم .. » .

★ ★ ★

الحق أن رأسى كان موشكًا على الانفجار ، وتراكمت عندى شرائط التسجيل والملفات .. قمت بعدة رحلات فى تلك المنطقة بسيارتى فلم أر أى شىء ..

هذه خرافة أخرى تشبه خرافات البيوت المسكونة التى أبيت فيها حتى الصباح وينكسر ظهرى فلا يحدث شىء .. لكنى كذلك جمعت معلومات غريبة فعلًا لها طابع تاريخى مخيف ... لربما كانت مهمة أو كانت هذيانًا .

وفى تلك الليلة اللعينة انتظرت حتى انتصف الليل ثم انطلقت بسيارتى قرب المكان .. ثمة قصص تقول : إن اللعنة تظهر بعد منتصف الليل ..

حسن .. أنت تعرف باقى القصة ..

سيارة المرور .. رجل الشرطة غريب الأطوار ..

تعال معى إلى أشلى .. القاضى ...

كنت أريـد هذا فـى شـوق .. كل من جاءوا إلـى أشلى لم يعرفوا ما ينتظرهم .. أما أنا فقد كنت أتوقع وأنتظر ..

بينما سيارة الشرطى تنطلق وسط بقعة من الضوء تتحرك فى الظلام ، كنت أسترجع ما قرأته عن تلك البلدة ..

القصة قديمة .. قديمة .. ترتد لعدة قرون ، وقبل أن توجد الولايات المتحدة نفسها ..

- 2 -

(مانى بن فتك) ...

يـا لـهـا من قصـة عن الإنسـان عندمـا يبحث عن الحقيقة فيضل الطريق !!..

ما زلت أرتجف كلما قرأت عن تلك الديانات الفارسية الغامضة كالزرادشتية سواها ..

فى العام 215 م .. فى بابل ..

يقال إن أباه هاجر من العراق قديمًا ، وقيل إنه من أسرة من الصابئة .. عندما جاء مانى كان السلطان أردشير يحاول وقف زحف الديانة المسيحية الكاسح على بلاد الفرس . كما أن اليهودية كانت تتوسع .

فى سن الرابعة والعشرين مزج مانى الديانة البوذية والزرادشتية وأعلن أنه نبى .

ومن هنا ولدت الديانة المانوية .. الديانة التى تتحدث عن ثنائية الخلق .. حسب كلامه فالكون يتكون من ثنائى متعادل القوى هو الله والشيطان .. الشر يجب أن يُعبد ..

وقد استطاعت الديانة المانوية أن تصمد حتى القرن الثالث عشر .. يقال أيضًا إنها ما زالت تمارس فى القوقاز ..

كان لهذه الديانة عيب كامن خطر؛ هى أنها تدعو الناس لعدم الزواج .. أى دين يدعو الناس لعدم الزواج والتناسل يؤدى بالتالى إلى انقراضه !!..

وقد بدأت الأمة الفارسية تتداعى وتضعف بالفعل .. ولهذا طرده الملك براهم بن هرمز من فارس ، حيث ذهب للهند ليبشر بعبادته ..

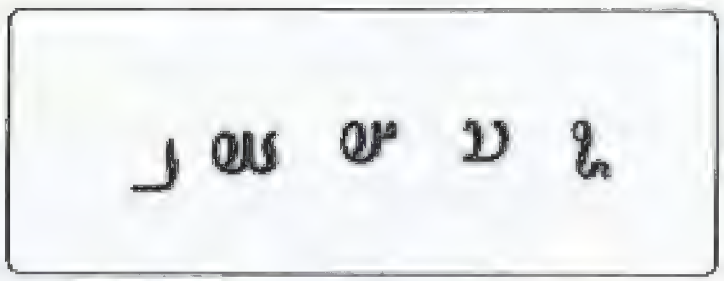
هناك قصة أخرى تقول إنه ذهب لفلسطين لينشر عقيدته ، لكن مطرانًا مسيحيًا اسمه أرخيلاوس فضحه فهرب .. وتم اعتقاله وأعدمه الملك براهم بن هرمز .

الكلام عن المانوية يطول ... و ...

* * *

يدخل الشرطى مدينة صغيرة ..

يمكننى بسهولة وبرغم الظلام أن أرى بناية أقرب لكنيسة مهجورة .. بالطبع .. مستحيل أن تمارس الصلوات فى بلدة كهذه .. لكن أرى كذلك الحروف الغريبة على الجدار ...



حروف مألوفة لى وتعنى أننى فى الطريق الصحيح . هذه لغة فهلوية لا شك فى هذا .. الفهلوية الساسانية .. لغة فارسية تعود للقرن الثالث الميلادى ..

لقد كان (بيتر جيليام) هنا .. كل شيء يشي بذلك ، وليرحمنا الله ويحفظنا . في ذلك الوقت كنت سعيدًا لأنني دخلت ولم يخطر ببالي قط أنني لن أخرج أبدًا ..!

وعدت أتذكر تاريخ المانوية ..

و ..

★ ★ ★

قال ماني بن فتك : إن العالم مركب من النور والظلمة .. والإله استقر في مملكة النور ..

جاء الإنسان الأول واستطاع الشيطان أن يحجز بعض الأرواح في عالم الظلام ، لكن يمكن لهذه الأرواح أن تتحرر عن طريق تعذيب الجسد ..

تؤمن المانوية بتناسخ الأرواح .. فالناس تُمنح فرص أخرى للتكفير عن خطاياها ..

كان لماني ككل نبي أو مدعي نبوة كتاب مقدس أسماه شابوركان ـ وقد تكلم عنه العالم الأديب العربي البيروني ـ نسبة للملك شابور الأول الذي ساعده على نشر مبادئه . وقد كان يبشر في الهند زاعمًا أن عقيدته اختزنت الزرادشتية والبوذية والمسيحية الناشئة معًا ..

« وفي نهاية عمر الدنيا .. يضع الملاكان اللذان يحملان السماء والأرض أحمالهما فتقع ، وينقض كل شيء وتشتعل النيران من وسط هذا الاضطراب وتمتد فتحرق العالم كله .. » .

هكذا يقول ..

من كتب المانوية المخيفة كتاب « الأسرار » الذي يحوي أسرارًا مخيفة .. هناك كذلك كتاب « الشياطين » .. أما تعاليم الرجل فجمعها في كتاب « كلافيا » ..

أحيانًا يوصف المانويون باسم (الزنادقة)..

انقرضت المانوية كما قلنا لعدة أسباب ؛ منها خوف الفرس منها لأنها تدعو لعدم الإنجاب . معنى هذا انقراض المجتمع .. كذلك كانت المسيحية تنتشر بسرعة البرق ، وظهر الإسلام بعدها . أما البوذيون فقد استطاعوا أن يثبتوا أنها تتناقض مع تعليماتهم ..(*)

القديس أغسطينوس كان من المانويين عدة سنوات ، ثم اكتشف أي عبث هذا فصار مسيحيًا متدينًا ، وكتب عن تجربته المريرة مع هؤلاء وكيف أنهم يخدعون أنفسهم .. شعارهم هو : « رب هبني العفة .. لكن ليس الآن !! » .

★ ★ ★

القاضي المحترم أرثر جالواي .. الغرامة ..

لن تدفع إلا في الصباح ..

الشرطي : هناك موتيل يملكه دوجلاس العجوز .. دوجلاس بوجهه المخمور يعطيني غرفة ... يتشاجر مع زوجته التي لا أراها .. الصابون ممتاز .. موظفة المحكمة التي تصر على تقديم البسكويت .. السيارة لن تتحرك .. يوجد عطل يا سيدي ..

(*) لو كنت مهتمًا بمعرفة المزيد فهناك رواية (حدائق النور) للأديب الكبير أمين معلوف .. دار الفارابي 1998 مترجم عن الفرنسية طبعًا .

البحث عن شخص يقبل نقلى بأى ثمن لويتشيتا .. أى ثمن .. سأدفع جيدًا .. لا أحد يقبل ..

نتناول الغداء عند أميمة ويلسون الفاتنة وننتظر ..

وبعد أيام قليلة تصل الرسامة الرقيقة روزالين .. وتكتشف أنها مثلك ..

وأعاود تذكر تاريخ المانوية ...

★ ★ ★

الولايات المتحدة كانت موطنًا هرب له المعذبون والثائرون والباحثون عن رزق ..

لكن هرب لها كذلك من يشتهون ممارسة عقيدة دينية معينة بعيدًا عن سيطرة الكنيسة والمسجد والمعبد اليهودى ؛ لذا تحوى الولايات خليطًا فريدًا من العقائد ..

منذ قرن ونصف جاء بيتر جيليام إلى الولايات المتحدة واستقر فى كانساس .. وأنشأ هذه البلدة الصغيرة. الحقيقة لم تكن هذه كنيسة قط .. كانت مذبحا تمارس فيه طقوس المانوية . وكان يعتمد على الكتاب المقدس لهم : شابوركان ..

أنا دخلت المعبد المهجور ووجدت الكتاب هناك ..

مع الوقت كون جيليام فلسفته الخاصة وبدأ يدعو لها : الشر قوى جدًا .. الشر ضرورى .. الشر أهم من الخير للوجود ...

صار له أتباع لكنه كذلك دعا إلى عدم الإنجاب كما فعل مانى .. هكذا لم يزدد عدد سكان هذه المدينة إلا قليلًا .. انحدر العدد من ألفين إلى ستمائة ..

كانت أشلى بعيدة عن الصحافة والإعلام ... ولم يدر أحد بما يدور فيها من غرائب ..

أما جيليام فمات وكان له ابن واحد وقد وجد هذا الابن أنه مضطر لأن يتزوج وينجب ، فلو مات لانقرضت العقيدة ..

ماذا حدث بعدها ؟

لا أعرف يقينًا .. هناك نوع من الممارسات الشيطانية التى أدت لسخط السماء على القرية بمن فيها ، كما حدث لسدوم وعمورية مثلًا .. لربما كانوا قد استفزوا الطبيعة أو وجدوا سرًا مخيفًا ..

قال الناس : إن زلزالاً جعل الأرض تنشق وتغوص عام 1952 ..

الحقيقة أن لى رأيًا مختلفًا هو أن المدينة كلها رحلت لبعد آخر ..

الناس تمر جوار أشلى فلا تراها برغم أنها موجودة .. فقط هى فى بعد آخر .. ومن حين لآخر يدخل أحمق من عالمنا إليهم ، أو تظهر المدينة كلها للحظات فتراها طائرة مذعورة ..

لكن أفظع شىء فى أشلى كان قوى الشر التى انطلقت فيها وراحت تعبث هنا وهناك .

كان الأخطر قادمًا ..

- 3 -

قبل أن يأتى الرجلان هارى ورفعت كنت قد قمت بتجربة فاشلة ..

سرقت سيارة وحاولت أن أهرب بها من المدينة ، لكن النتيجة كانت محبطة .. دخلت فى متاهات عديدة متداخلة تتحدى قوانين الفيزياء والاتجاهات .. وفى كل مرة أجد نفسى فى المدينة فى نفس النقطة ..

وكنت فى ذلك الوقت أسمع عن جرائم قتل لكن لم أفهم نوعيتها بعد .. هذا مكان غريب خطر ..

كان هناك طبيب البلدة الذى تتكرر الوفيات كلما زار أسرة ما .. هناك حوادث قتل بائعات الهوى .. هناك جرائم قتل بالرصاص لشباب عشاق ..

لم أستطع أن أربط بين هذا كله ..

لكنى بدأت أرى البصيص الأول عندما قررت أن أرى مسز دوجلاس .. الرجل يدخل غرفة ويكلم زوجته .. هى الطاهية وهى التى تعد كل شىء ، لكنى لم أرها قط .. روزالين كذلك طلبت أن تقابلها لتحييها لكن دوجلاس رفض ...

ما السبب ؟

فى العاشرة صباحًا يذهب دوجلاس إلى المحل الوحيد هنا ليشترى البقالة واللحم والخمر ... لكنى كنت قد سرقت مفتاح الغرفة الداخلية .. يعلقه على اللوح خلفه ويأخذه معه عند الخروج ، لكنه فى هذه المرة نسى أنه غير موجود .. كان فى جيبى ..

عندما أدركت أنه رحل اتجهت إلى الغرفة الداخلية التى تقود للمطبخ ..

قرعت الباب عدة مرات فلم يرد أحد ..

- « مسز دوجلاس .. »

لم يرد أحد ...

زوجة ذى اللحية الزرقاء المصممة على أن ترى محتوى الحجرة المنة . أنا هى .. كليك كلاك .. نظرة واحدة .. لو قابلت امرأة عجوزًا مذعورة فلسوف أزعم أننى ضللت الطريق لغرفتى .. حيلة سخيفة ولن تصدقها لأننى لن أفسر ببساطة كيف وجدت المفتاح .. لكنى كنت أعرف أفضل من هذا ....

كنت أعرف أننى لن أجد أحدًا ....

للأسف وجدت ..

كانت هناك جالسة على مقعد وظهرها لى .. دنوت منها فى حذر ووضعت يدى على كتفها .. لم تتحرك .. أدرت المقعد ..

هذا مشهد جعلته السينما مألوفًا .. قصة روبرت بلوخ وإخراج هتشكوك فى فيلم (سايكو) ... الهيكل العظمى الذى يلبس ثيابًا كاملة وجمة ... ينظر لى من محجريه الفارغين فتشعر كأنه يبتسم ..

هذه هى مسز دوجلاس ...

الرجل كان يفعل كل شىء وحده وكان يدخل الحجرة ويكلم نفسه منتحلاً الصوت الرفيع .. يتشاجر .. يمزح .. إلخ ...

لم يكن هذا أسوأ شيء ..

أسوأ شيء هو تلك العباءة المعلقة .. أدركت من منظرها ومن دون أن ألمسها أنها مصنوعة من جلود نساء مخيطة .. جلود نساء نبش قبورهن وسلخهن ..

لم يقتل زوجته بالتأكيد لكنه رفض أن يدفنها لأنه يحبها ...

جاءت شخصية المجنون (نورمان بيتس) فى فيلم سايكو ، ودستة من أفلام الرعب من (إد جين) السفاح الشهير ... نحن نتحدث عن إد جين(*) ..

★ ★ ★

بقلب موشك على التوقف أغلقت الباب ..

أعدت المفتاح مكانه ..

ربما لو وجدت مسز دوجلاس بالداخل ووجهت لى السباب لكان حالى أفضل ..

إد جين ..

صاحب الموتيل يكرر قصة السفاح إد جين ..

عاش إد جين فى تكساس ... ولد لأم متهوسة دينيًا . هذا الطراز الذى يصنع من أطفاله مسوخًا نفسية .. أب سكير كالعادة ...

(*) (هانيبال لكتر) مستوحى كذلك من (إد جين) .. لكنه لم يكن موجودًا فى القصص والسينما وقتها طبعًا . ولد مع رواية توماس هاريس وفيلم (صمت الحملان) عام 1991 .

عندما ماتت الأم وزالت سيطرتها لم يتحمل إد جين أن تُدفن ، وقام بتحنيطها وإبقائها فى البيت معه ، ثم قرر أن يتحول لامرأة .. يتحول بطريقة غريبة هى نبش قبور النساء وسلخ جلود الجثث ليخيط عباءة كبيرة يلبسها ويشعر أنه أنثى .. إد جين لم يرتكب جرائم قتل لكنه نبش الكثير من القبور ومارس النكروفيليا كثيرًا ..

انتهى إد جين فى مصحة عقلية حتى مات عام 1984 .. وكان أهل ضحاياه يتمنون أن يُعدم ..

حتى تلك اللحظة ظننت أن دوجلاس مجرد أحمق أعجب بسفاح .

لم أشعر براحة لوجودى فى الموتيل لكنى لم أكن مهددًا وقد قررت أن أجد المأمور لأخبره ..

هنا كان فى انتظارى أعظم رعب مر بى فى حياتى ...

لقد فهمت !!!

★ ★ ★

عندما ذهبت للمأمور لم أجده ، ولكن وجدت موظفة المحكمة النحيلة المسنة ذات الاسم الإيطالى الذى نسيته .. كانت تغلق مكتبها لتعود لدارها ..

قلت لها فى حرج :

ـ « صباح الخير سيدة .. أ.......... »

كانت ذكية فقالت على الفور :

- « كارلا .. كارلا جيوفانى .. »

ثم نظرت لوجهى الممتقع وقالت :

- « تبدو كأنك رأيت شبحًا .. »

لم أرد كشف أوراقى .. لذا قلت لها ضاحكًا :

- « كل ذوى العيون الجاحظة يبدون كهذا .. »

- « لكن لونهم لا يشحب .. »

ثم بدا الإغراء فى عينيها ومالت نحوى فى ترغيب :

- « بيتى على الجانب الآخر من الطريق ... ما تحتاج له هو قدح من الشاى وبعض البسكويت .. »

طريقتها تذكرنى بأمى .. والحقيقة هى أننى أردت أن أجلس معها قليلاً .. أريد أن أسمع منها . بالطبع هى لا تلعب ألعابًا أنثوية معى فهى تعرف وأنا أعرف أنها تكبرنى بعشرين عامًا على الأقل ..

هكذا تأبطت ذراعى فى مرح ومضيت معها عبر الشارع ..

البيت كان جميلاً يذكرك ببيوت الجدات الريفيات .. مثل بيت البطة إلفيرا جدة دونالد(*) فلم يبق سوى أن تضع الفطائر على النافذة فيسرقها الدب .. حتى دواسة القدمين على شكل قلب .. وهناك غطاء من التريكو لكل المقابض ..

(*) نعرفها نحن باسم الجدة بطة .

فى الداخل هو بيت بسيط .. أثاث عتيق الطراز لكنه مريح خاصة وإضاءة بسيطة تغمر كل شىء ، مصدرها ضوء النهار .. هناك قط نائم على أريكة رفع عينًا ونظر لى ثم واصل النوم ..

- « استرح .. سأعد الشاى والبسكويت حالاً .. »

جلست على أريكة مريحة ورحت أتأمل اللوحات المائية على الجدار ، ثم نهضت ورحت أجول فى المكان .. هناك غرفة مغلقة وضعت فيها المفتاح . أرى المطبخ من هنا .. أراها تصب الشاى فى قدحين .. ثم .....

لماذا يضعون مسحوقًا فى الشاى هذه الأيام ؟ .. لماذا تهرش أقراصًا بقاعدة الكوب ثم تحملها فى ورقة مطوية لتذيبها فى الشاى ؟.. هذا ليس سكرًا بالتأكيد لأنها سوف تحضر قوالب السكر معها ..

شعرت بتوتر وشك ... الجدة الطيبة التى تحتضن ذات الرداء الأحمر .. أسنانك طويلة وحادة يا جدتى .. لماذا ؟.. عيناك كبيرتان يا عمتى .. لماذا ؟

لما عادت بعد قليل وضعت صينية أنيقة عليها قدحا شاى مليئان وبراد يتصاعد منه البخار ..

ثم إنها تناولت قدحًا ووضعته أمامى فى ثبات وسألتنى : كم قالبًا من السكر ؟ ثم قالت :

- « اشرب !! »

نظرت للشاى فى شرود ثم قلت لها :

- « هل لديك مربى ؟ لم نعتد فى بيت أمى أن نأكل البسكويت دون مربى .. »

فكرت للحظة ثم نهضت باسمة لتقول بصوتها الرفيع :

ـ « مارميلاد فقط ... سوف أحضرها حالاً .. »

هكذا نظرت للقط فى حذر حتى لا يفشى سرى ، وقمت بأقدم حيلة فى التاريخ . بدلت قدحى بقدحها ، ولما عادت كنت أرشف القدح الخاص بها ..

وضعت أمامى طبقًا فيه بعض المربى فمددت يدى وغمست قطع البسكويت فيها ، ثم قضمت وقلت :

ـ « الحقيقة أنك تنثرين حولك جوًا من الأمـ ..... الأنوثة الساحرة .. »

ضحكت فى تبسط ورشفت رشفة من الشاى ، ثم قالت :

ـ « أمومة ..... أنت تخجل من أن تعترف أننى عجوز . بالفعل أنا عجوز جدًا ويمكن بسهولة أن أكون والدتك .. »

ونظرت للقدح فى دهشة .. مندهشة هى لأن سكر الشاى أقل أو أكثر مما تشربه ...

ثم راحت تحكى لى قصة طويلة مملة عن زوجها المهاجر الإيطالى الذى أراد أن ينجح فى نيويورك ففشل ، ثم انتقل لكنساس ففشل .. ومات .. لكن القاضى وجد لها هذه المهنة و ....

أنا أشعر بدوار ..

قالتها وتحسست جبهتها .. أبديت الانزعاج ونهضت لآخذ القدح من يدها . أهذا هو المصير الذى أعددته لى أيتها الشمطاء ؟

تثاءبت ثم مال رأسها لجنب وغابت ..

تتنفس بعمق وشكل منتظم .. هذا ليس سمًا إذن بل هو منوم . لكن لماذا تريد أن تنومنى ؟

الآن صار البيت كله لى ويمكن أن أبحث بعناية .. هذه المرأة تخفى سرًا ويجب أن أعرفه ..

الغرفة !!

الغرفة الموصدة فى نهاية الممر .. ماذا فيها ؟

فى حذر أدرت المفتاح ودخلت ....

ـ 4 ـ

فى البدء لم أفهم شيئًا .. رائحة الصابون والصودا القلوية ..

هذا الجو يشبه الجو الذى كانت خالتى تصنع فيه الصابون فى الماضى ..

هنا تصنع المرأة صابونها المنزلى الذى لا تكف عن الكلام عنه .. لكن لماذا توجد ثلاجة أفقية فى مصنع صابون ؟ لماذا توجد زجاجة ملينة بسائل أحمر قان ؟

لماذا تجد كل هذه السكاكين والشواطير كأنك فى متجر قصاب يحترم نفسه ؟

فلنر ....

البحث فى الثلاجة جعل شعرى ينتصب ... المزيد من عجائب بيت الأهوال فى أشلى ..

لا داعى للشرح .. أنت استنتجت ما وجدته ...

فيما بعد وجدت مكتبة عتيقة منسية فى المدينة ، وقد وجدت فيها كتابًا يبدو أن هناك من تصفحه بكثرة .. وقد سرقته على كل حال لأنه لا توجد استعارة ... ها هو ذا .. هل تراه على فراشى ؟

كان هذا الكتاب يتكلم عن السفاحين والقتلة التتابعيين ، وقد وجدت فيه الإجابة التى حيرتنى كثيرًا ..

مدام جنجولى ..

فى عصر موسولينى فى إيطاليا كانت هذه السيدة اللطيفة تنتقى ضحاياها بعناية .. تقنع النساء بأن لديها نفوذًا يمكنها من أن تجد لهن وظائف ... تجعلهن يأتين لبيتها سرًا .. لا تخبرن أحدًا خشية الحسد .. تعالين فجرًا يا سيدات ..

ما كانت تقوم به هو أنها تخدرهن ... تقتلهن وتأخذ الدهن لتصنع منه الصابون .. صابون مدام جنجولى هو الأفضل والأكثر رغوة .. أما الدم فتستعمله فى صنع الكعك .. ألذ كعك فى البلدة ..

لما قبض على مدام جنجولى قالت فى فخر إنها قادرة على تقطيع جثة بشرية والتخلص من الدماء والعظام خلال ١٢ دقيقة .. لم يصدق المحقق .. وبما أننا كنا فى عهد موسولينى حيث يمكنك أن تجرى تجربة على إنسان أو جثة ، فقد أخذها المحققون للمشرحة وطلبوا منها أن تريهم براعتها مع جثة سليمة !.. اكتشف المحققون أن هذه السيدة الرقيقة حولت الجثة إلى أشلاء دقيقة خلال عشر دقائق !!

كنت فى ضيافة السيدة جنجولى ونجوت ..

لو لم أنج لكنت الآن أفضل أنواع الصابون وأشهى البسكويت ..

بالمناسبة .. أنا قضمت عدة مرات من هذا البسكويت ..

يجب أن أفرغ معدتى .....

* * *

تركت المرأة نائمة حيث هى وغادرت البيت ....

إنها الظهيرة .. شمس الظهيرة تغمر كل شىء .. لكن نفسى كانت تزداد ظلامًا ......

سأعود للموتيل .. لا أرى حلاً آخر ولا أعتقد أن المأمور أو القاضى هما الحل .. هما بالتأكيد جزء من المشكلة .. سأقضى أيامى فى هذا الموتيل مع رجل سكير يحنط جثة زوجته ويسلخ جثث النساء ليصنع منها عباءة ... هل لديك حل آخر ؟

هكذا بدأت معالم الصورة تتضح كما تتضح معالم جثة مغطاة بملاءة ..

أشلى - كنساس مدينة شريرة شيطانية ملعونة ، مورست فيها عقيدة شريرة شيطانية ملعونة... انتقلت المدينة كلها لبعد آخر وزالت عن العالم ، بينما صارت مسرحًا تعبث فيه أرواح السفاحين والأشرار ..

بالتأكيد يوجد هنا جاك السفاح .

بالتأكيد يوجد كاليجولا .

بالتأكيد يوجد راسبوتين ..

بالتأكيد هناك تيد بوندى وزودياك .

أنا رأيت بنفسى أن هناك إد جين و مدام جنجولى ...

السفاحون يمزقون بعضهم ويمزقون أهل المدينة .. لسبب ما أعتقد أن القصة دائرة مفرغة .. يذكرنى الأمر بتوازن الملاريا عندما تتوطن فى بلد ..

تسير الأمور بوتيرة واحدة ، لكن كل شىء يختلف عندما يدخل المنطقة رجل أوروبى غير مصاب بالملاريا .. تفتك به الملاريا أولاً ثم تتوحش ويصير سلوكها مخيفًا ..

أنا جئت من الخارج . الفتاة جاءت من الخارج .. الرجلان جاءا من الخارج ... أعتقد أن بائعات الهوى جئن من الخارج ....

سنموت أولاً ... ثم يعم الجنون ...

★ ★ ★

فى هذا الوقت تقريبًا بدأت أدرك أن الرجلين يواجهان مفاجآت كارثية .. لقد مرا بالمراحل التى مررت بها تقريبًا ..

كيف لو عرفا ما يوجد فى الغرفة المغلقة ؟ كيف لو عرفا أن زوجة دوجلاس جثة هامدة محنطة ؟ كيف لو رأيا تلك العباءة ؟

فى الليل كانت هناك مشكلة صحية مرت بالزوجة ، وقد هرع الزوج يحضر إيركهارت طبيب القرية ، وأنا لا أثق به البتة .. لا أعرف أى سفاح يلعب دوره لكنه بالتأكيد سفاح شهير ..

سمعت صوت الطرد ويبدو أنه كان ينوى حقن الزوجة بمادة سامة ما ..

فى اليوم الثانى غادروا الموتيل جميعًا كالعاصفة .. ولما خرجت رأيتهم يكدسون الحقائب فى سيارة .. ليست سيارتهم بالتأكيد . أدركت أنهم يجربون موضوع سرقة السيارة مثلى .. تنتظرهم لحظات قاسية ..

انتظرت بعض الوقت فرأيت سيارتهم قادمة من بعيد .. لم أر الوجوه لكنى أدركت أنهم يعيشون لحظات قاسية ..

تكرر الأمر بعد قليل .. ابتسمت فى سخرية مريرة وعدت لغرفتى ..

جلست على الفراش بعض الوقت وفجأة سمعت قرعات على الباب .

لقد انهار الحاجز أخيرًا .. مرحبًا بكم فى الفريق ...

نهضت وفتحت الباب فوجدت الرجلين هارى ورفعت شاحبين .. الذعر فى العيون لا شك فيه ..

قال لى الأمريكى بلباقة لاهثًا :

ـ « لا أعرف يا دكتور إن كان وقتك يسمح لك ببعض الأسئلة ؟ »

قلت فى سعة صدر :

ـ « ليس لدى سوى الوقت .. أنتما تعرفان أن هذه المدينة بلا وسائل تسلية ولا أصدقاء .. »

قال المصرى الذى يدعى رفعت :

ـ « بالعكس .. هذه المدينة مسلية أكثر من اللازم .. »

سمحت لهما بالدخول وقدمت لهما مقعدين أما أنا فتربعت على الفراش ..

هكذا جلسا وهكذا بدأنا تبادل القصص ... لم أخف شيئًا وهما كذلك لم يخفيا شيئًا .. لقد مرا بالتجربة بنفس الشكل ، وإن قطعا مسارًا مختلفًا ... لم يخطر لى قط أن الطبيب يلعب دور جاك السفاح ... وقد قدمت لهما ما لدى من أوراق حول المانوية وجيليام ..

لوحت بكتاب السفاحين الذى سرقته والذى امتلأ بالقصاصات والثنيات وقلت :

ـ « أعتقد أن كل سفاح فى هذا الكتاب موجود فى المدينة .. »

ثم تذكرت شيئًا مهمًا فسألتهما :

ـ « أين تأكلان ؟ »

قال رفعت فى توجس :

ـ « مطعم أميمة ويلسون .. هل يوجد مكان آخر ؟ »

يا للبائسين ...! منذ فترة أنا آكل الهوت دوجز فى محل صغير (أقرب للكشك) قرب مكتب البريد . مللت الهوت دوج ولم أعد أطيق رؤيته لكنه أكثر الأطعمة أمنًا هنا ..

قلت فى غموض :

ـ « الريش المشوية لذيذة المذاق .. هه ؟ »

أميمة ويلسون هى تقريبًا السفاح الوحيد الذى يحتفظ باسمه هنا .. فى كتاب السفاحين هناك بالفعل أميمة ويلسون .. امرأة من أصل مصرى جاءت للولايات المتحدة وتزوجت .. ثم عاملها زوجها معاملة قاسية شريرة وضربها مرارًا... ما حدث هو أنها قتلته وقدمته لضيوفها على شكل ريش مشوية وكباب شهى .. هؤلاء القتلة الساديون لا يتم إعدامهم أبدًا لأن هول جرائمهم يعلن بوضوح أنهم مخابيل غير مسئولين عن أفعالهم .

لو عرف هذان مصدر الريش التى أكلاها فلسوف يفضلان الانتحار ..

تسألنى عما إذا كان لحم زوج أميمة ما زال موجودًا كل هذا الوقت لتطبخ منه .. أقول لك إنها بالتأكيد وجدت مصدرًا آخر للحم .. ضحية أخرى .. لحم آخر ... كل واحد فى هذه البلدة يعرف طريقه .. الحشد المخيف لأرواح السفاحين فى مكان واحد. مكان يفترض أن يظل فى بعد آخر ولا يدخله واحد من عالمنا .. لكن حظنا العاثر جعلنا ندخل ..

ـ « والنصيحة الأخيرة هى ألا تأكلوا البسكويت أو تستعملوا الصابون فى أشلى أبدًا !!! »

قال هارى لرفعت بعد ما سمع قصتى (باستثناء موضوع أميمة) :

ـ « ألم تحك لنا عن مكان اسمه جانب النجوم ؟ ألا تكون قد عبرنا إلى جانب نجومك هذا ؟ »

قال رفعت فى عصبية :

ـ « بلى لكن الأمر يختلف .. ثم إننى أمنعك من ذكر جانب النجوم مع من لا يعرفنى .. سوف يفترض أننى مجنون .. »

ـ « وهل هناك من لا يشك فى ذلك ؟ »

ـ « سأسمح للأصدقاء الحميمين فقط باتهامى .. »

بعد صمت طال قال رفعت :

ـ « هناك سيدة ثرية من شرق أوروبا .. لها نفس طابع الأميرات المجريات أو النمساويات .. قابلناها هنا .. هل تذكر اسمها ؟ »

دق جرس فى ذاكرتى فقلت :

ـ « (أماليا بوكاوسكى) .. زبون دائم عند أميمة .. »

قال :

ـ « أريد أن تزورها . لقد دعتنا لبيتها .. »

قال هارى فى عصبية :

ـ « هل تجد هذا أفضل وقت للنشاطات الاجتماعية ؟ »

قال رفعت فى غموض :

ـ « عندما أسترجع كلماتها أجد أنها قالت شيئًا عن لوحات رائعة فى بيتها .. لن أفسر أكثر .. لكن لدى شيئًا يدفعنى إلى أن أزورها .. لنقل إن لدى كينـــ .. أ .. ملهمًا قال لى إن اللوحات موضوع مهم . أعتقد أن هذه الأميرة البولندية فى صفنا ويمكن أن تساعدنا »

احتد هارى ودارت مناقشة طويلة بين الرجلين ، أنهيتها أنا رافعًا يدى :

ـ « نحن فى وضع ميئوس منه .. لا أرى ما يمنع من التجربة .. لا يمكن لأحدنا أن يزعم أن وقته ضاع فى هذه المدينة. لا قيمة للوقت .. »

ـ « وهل نذهب بلا موعد مسبق ؟ »

ـ « أعتقد أن الظروف لا تسمح بمراعاة البروتوكول .. فلنتحرك فى الصباح .. »

ـ 5 ـ

لا بد أنها كانت ليلة سوداء على الجميع ، لكنها مرت .

فى الصباح رحنا جميعًا نرمق مستر دوجلاس .. كنت أنا قد تعودت الرجل فلم أعد أبدى رعبًا أو اشمئزازًا .. لكنهم بالطبع كانوا بحاجة إلى قوة كى يتحملوا التعامل مع رجل يحنط زوجته ويسرق المقابر ليسلخ جلد النساء ..

خمنت على كل حال أنهما لم يطلعا المرأة ـ وبالطبع ـ الطفل على شىء ، لكنهم لم يذوقوا اللحم .. اكتفوا بالمربى على التوست والقهوة طبعًا .

لئن كان الرعب ضيفًا معنا ، فقد جاء الاشمئزاز كذلك أهلاً وسهلاً ..

كيف لو عرف هؤلاء الحمقى حقيقة أميمة ومطعمها ؟

لما انتهى الإفطار نهضنا . طلبت الزوجة ـ ليندا ـ أن تأتى معنا لأن البقاء هنا كاد يصيبها بالجنون ، لكن رفعت أصر على بقائها وأن تغلق الباب .. الأمر لا يحتمل ترف الزوجات الملولات كذلك .. لسنا ذاهبين للسيرك ..

هكذا مشينا نحن الثلاثة .. كأننا ثلاثى (ويات إيرب) ذاهبين لمعركة أوكى كورال .. الشمس تعتلى منتصف السماء ...

نهاية الشارع على اليسار ..

ككل بيوت البلدة هو من طابق واحد ، وله حديقة جميلة معتنى بها ... يحتل مساحة كبيرة ... البوابة مغلقة ، ثم ظهر كلب أبله ـ كما قال رفعت ـ ينبح ثم رآنا نفتح البوابة فبال على نفسه رعبًا وانطلق يركض مبتعدًا ..

هكذا مشينا فى الحديقة وكانت هناك مقرعة على شكل قبضة دققنا بها ..

انفتح الباب وظهرت وصيفة متأنقة على قدر من الجمال .. فقال لها هارى :

ـ « السيدة (بوكاوسكى) هنا ؟ كنا قد التقينا فى المطعم ودعتنا لزيارتها و..... »

مهمة محرجة جدًا .. لكن الوصيفة ثنت ركبتيها فى رشاقة وسمحت لنا بالدخول ، كأنها اعتادت هذه المواقف ..

يا للفخامة !!.. تذكرك بصور مداخل القصور الأوروبية ..

بساط تغوص أقدامنا فيه .. رائحة عطر .. لوحات على الجانبين .. لا بد أنها أصلية طبعًا .. رمبرانت .. روبنز .. روسو .. ديجا ... كان لها الحق فى التفاخر ..

تماثيل من برونز .. شمعدانات ..

لقد كان المرحوم بوكاوسكى ثريًا فعلاً ...

قالت لنا الوصيفة وهى تشير إلى صالون من طراز لويس ـ ما :

ـ « ستأتى سيدتى حالاً .. ماذا أقدم لكم ؟ »

لم يكن أحدنا رائق البال للشرب ، لذا شكرناها جلسنا شاعرين بالتهيب والضآلة ....

بعد دقيقة ظهرت (أماليا بوكاوسكى) ....

تمثال من شمع بارع الجمال فى الأربعين من العمر .. هاتان ليستا نحتًا من رخام .. هاتان ذراعاها ... هاتان ليستا ياقوتتين بل هما عيناها .. هذه ليست عقيقًا بل هى شفتها ...

امرأة فاخرة .. هذا ما يمكن قوله ..

قالت بلكنة شرق أوروبية لا شك فيها :

ـ « سعيدة جدًا لأنكم تقبلتم عرضى بجدية ... »

ـ « هذا يشرفنا»

وضعت ساقًا على ساق وقالت :

ـ « الوحدة والملل فى بلدة كهذه .. أنا أرحب بالزوار .. لا قيمة لهذه اللوحات ما لم يرَ المرء نظرات الانبهار فى العيون .. »

قال لها رفعت وهو ينظر فى عينيها :

ـ « قلت لى شيئًا عن اللوحات و.................. »

كان ينظر لها فى فضول ... كأنه يبحث عن شىء معين(*).. وبدا كأنه يشعر بخيبة أمل .. كانت نظراته محملقة لدرجة أنها شعرت بغيظ أو ارتباك ، وقالت :

ـ « هل هناك مشكلة يا سيدى ؟ »

(*) رفعت يفتش عن علامات الكينونة الخمس لكن ويليامسون لا يعرف طبعًا .

خطر لى أنه أحمق .. ما من رجل ينظر لامرأة هكذا مهما كانت جميلة . يبدو أن عدم زواجه وندرة علاقته بالجنس الآخر قد جعلاه كرجل عاش على جزيرة منعزلة ثلاثين سنة ، ثم هبطت على الجزيرة فتاة نجتْ من سفينة غارقة !

هدأ من نظراته وقال لها فى ارتباك :

ـ « لا شىء .. »

ثم بسرعة قال :

ـ « هل لى أن أذهب للحمام ؟ »

أشارت فى خيلاء إلى ممر فى نهاية الغرفة يغطيه ستار سميك ، وقالت من أنفها :

ـ « هناك .. »

هكذا نهض مسرعًا بينما ظل حاجباها مرفوعين فى انزعاج كأنها تقول : من أين يأتون بهذه الحيوانات ؟..

نظرت لنا وبدأت تحكى عن مجيئها لهذه البلدة .. دخلت وصيفة فى هذه الآناء تحمل الشاى .. قصبته لنا .. بصراحة لم أعد أستريح لشرب الشاى فى هذه المدينة ، لكنى قدرت أننا ثلاثة .. لن تجازف ... ثم إننى أشعر أنها نظيفة وراقية ..

مرت خمس دقائق وفجأة رأينا رفعت يخرج من وراء الستار ....

النظرة على وجهه جعلت الدم يتجمد فى عروقى .. وعندما رفع يده أدركت أن كفه غارقة فى الدم .. ماذا هنالك ؟

لم ينظر نحو مضيفتنا ... قال لنا بسرعة :

ـ « اتبعونى ..! »

تبادلت النظرات مع هارى ونظرت للسيدة فرأيتها لم تبدل جلستها .. فقط شبح ابتسامة تلاعب على ثغرها الرقيق .. ابتسامة واثقة شيطانية ..

قدما رفعت تركتا آثار دماء على طول المسار ..

وضعت الشاى وكذا فعل هارى ثم نهضنا مسرعين وراء رفعت .. فتح الباب واندفع خارجًا فلحقنا به .. نبح الكلب قليلاً ثم تراجع فى ذعر كالعادة ..

وهناك بعدما عبرنا الحديقة وخرجنا تماسك رفعت .. مسح كفه الدامية فى لحاء شجرة ثم قال :

ـ « الاسم البولندى .. كان يجب أن أشك !! »

قال هارى وقد فقد أعصابه :

ـ « عم تتحدث ؟ »

الحقيقة أن رفعت لم يدخل الحمام .. كانت هناك ردهة طويلة وقد مشى فيها .. هناك فى نهاية الردهة حمام آخر . كان من الحمق بحيث دخله متظاهرًا بأنه لم يرَ الحمام الأول ، وفى الداخل كانت بقعة دم كبيرة تعثر فيها لولا أن استند على كفه ...

ـ « هذه الطريقة تؤدى لكسر شهير اسمه (كول) Colle's لكن لحسن الحظ لم .... »

هنا قاطعه هارى فى عصبية :

ـ « لم تتكسر ذراعك بالتأكيد .. لكن عنقك سيتحطم لو لم تفسر .. »

شهق رفعت طويلاً ، ثم قال :

ـ « كانت الوصيفة كاترين .. الرقيقة .. معلقة فى خطاف من السقف .. وكانت جروح عديدة فى جسدها .. جروح تنز الدم ، والدم يتساقط قطرات ليتجمع فى أكثر من دلو .. كانت تحتضر . رباه ونظرت لى نظرة صامتة .. رباه .. »

ـ « وما معنى هذا ؟ »

ـ « المغطس كان مليئًا بالدم ... هناك جثة فتاة أخرى كانت ملقاة فى ركن الحمام .. لقد فرغوا من استنزافها ... السيدة بوكاوسكى تستحم فى دم الوصيفات لتحتفظ بجمالها .. هل فهمتما ؟ »

شهقنا جميعًا وفى صوت واحد هتفنا :

ـ « الكونتيسة إليزابث باثورى .. !! »

قال رفعت وهو يشهق متلاحق الأنفاس :

ـ « الأخرى كانت رومانية وكانت تأسر الفتيات العذارى وتذبحهن لتستحم فى دمهن لأن هذا يحفظ شبابها ونضرتها .. وأنا الأحمق الذى حسبت أن .... »

ـ « حسبت ماذا ؟ »

ـ « لا شيء ... لا أستطيع التعليق .. »

لو لم يكن هذا وقت النهار والشمس البهيجة تغمر كل شيء لأصابنا الجنون ..

هنا يأتي السؤال الأهم : ماذا سنفعل ؟

الجزء الرابع

فلنفرّ من أشلى

يحكيه رفعت إسماعيل

ـ 1 ـ

لم تكن هى الكينونة ..

قالت الكينونة إنها موجودة وأنا أصدق هذا فهى لا تكذب ... وقد قدرت أولاً أنها ويليامسون خاصة أنه لعب دور الضوء الذى يقودنا فى الظلام ، لكنه لا يحمل أى علامة من العلامات الخمس ..

عندها تذكرت كلام السيدة (بوكاوسكى) عن اللوحات .. الكينونة تكلمت عن اللوحات فى رسالتها لى ، وقد تكون هذه رسالة موجهة ..

لكن زيارتنا للسيدة كانت كئيبة .. بل أعنى شنيعة ..

لا أعتقد أن الحماس بلغ بها ـ كى تخفى شخصيتها ـ أن تقتل الفتيات وتصفى دماءهن .. مبالغة لا شك فيها ...

المأمور .. لا بد من إبلاغ المأمور ...

الفتاة المعلقة لم تمت بعد .. معنى هذا أن بوسعنا إنقاذها ولكن كيف ؟

قال هارى وهو يكوّر قبضته :

ـ « القاعدة التى تعلمتها فى هذه المدينة هى ألا تثق بأحد على الإطلاق .. المأمور منهم .. القاضى منهم .. لا شىء نفعله سوى أن نقتحم البيت عنوة ونحرر الفتيات »

قال ويليامسون فى تحفظ :

ـ « نقتحم ؟ »

ـ « لا مجال للاعتبارات ولا الإتيكيت .. أنت مسئول الآن عن حياة تلك الفتاة ، ولو تقاعست عن ذلك فأنت اشتركت فى قتلها .. »

ولم ينتظر رد فعلنا بل هرع من جديد يجتاز الحديقة .. الكلب الأبله أصابه الرعب كالعادة فجرى وذيله بين فخذيه . وسرعان ما وقف هارى أمام الباب الفاخر يضرب المقبض ثم يركل الخشب وهو يطلق شتائم لا بأس بها ..

انفتح الباب وظهرت الوصيفة الحسناء التى قابلتنا منذ دقائق ..

ـ « سيدى .. هل ....؟ »

لكنه ألقاها أرضًا كالشىء أو كالقمامة واندفع إلى الداخل وهو يأمرنى أن أتبعه .. طرنا فوق الوصيفة الراقدة على الأرض تحاول الفهم .. واندفعنا عبر الممر الذى امتلأ باللوحات ...

هنا فوجئنا بالسيدة الحسناء تقف أمامنا فى برود كأنها ملكة اقتحم الرعاع مخدعها ، وهى مستعدة لتموت كملكة .. سألتنا :

ـ « هل لى أن أعرف سبب هذا الاقتحام يا سادة ؟ »

قال هارى من بين أسنانه :

ـ « أفسحى الطريق أيتها الساحرة العجوز ! »

من بين شفتيها المغلقتين غمغمت فى احتقار :

ـ « c'est trop .. تؤ تؤ .. لو كان هناك شيء أمقته فهو السوقية والفظاظة .. »

قلت لها ....

هنا توقفت فى ذهول ونظرت خلف كتفها ...

كانت الوصيفة كاترين .. كاترين الرقيقة النحيلة التى رأيتها معلقة فى الحمام تنزف .. كانت تقف وراءها وتبتسم ابتسامة خفيفة .. رباه ! .. لا أريد هذه الابتسامة .. لا أريد هذه بالذات ...

على أن بوسعى أن أرى أسفل عنقها .. هذه جروح قطعية واضحة ..

لكن ثيابها غير ملطخة بالدم ..

هارى رأى ما رأيت فنظر لى فى غل وغيظ ، ثم هز رأسه واسترخى جسده وقال :

ـ « معذرة .. زميلى حسب أن .... »

قالت السيدة فى كبرياء :

ـ « أنا واثقة من أن هناك خللاً معينًا فى ثباته النفسى ... أولاً تلك النظرات المحملقة الثابتة لى منذ دخل بيتى ، ثم يدخل الحمام ليجرى دون أن يودع مضيفته .. »

ثم نظرت لى وأردفت :

ـ « قد اعتدت شواذ الطباع ، لكن لم أعتد أن يهينونى أو يدنسوا بيتى ، لذا أطالبكم بالخروج يا سادة ولا ترجعوا أبدًا .. »

وأشارت للباب بحركة مسرحية وفردت قامتها كأنها الليدى ماكبث تطرد خادمًا أحمق عندها ...

نظرت لكاترين نظرة أخيرة كأننى أطالبها أن تعترف بأن هناك شيئًا .. ابتسمت فقط ... ابتسمت تلك البسمة غير المريحة .

ثم إننا اتجهنا للباب .. وبعد دقيقة كنا فى الشارع من جديد ..

★ ★ ★

صحت فى هلع وأنا موشك على البكاء :

ـ « أقسم أننى لم .... »

فلو لمسنى أحد لانفجرت فى الدموع . نفس شعورى عندما كانت زوجة خالى تتهمنى بأننى مسحت يدى المتسخة بالمنشفة وأنا أعرف يقينًا أننى لم أفعل ذلك . هنا تدخل ويليامسون على الفور وقال :

ـ « لا تفسر .. أعرف أنك قلت الحقيقة .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .... طبعًا .. »

ـ « الفتاة كانت معلقة لاستنزاف الدم وكانت موشكة على الموت .. صحيح ؟ »

ـ « دقيق كذلك .. »

نظر لهارى الغاضب وابتسم وقال :

ـ « لا تتهم صاحبك بالهذيان .. صاحبك الذى ترك آثار أقدام دامية وكانت كفه مخضبة بالدم . كل هذا وهم ؟ »

هز هارى رأسه .. الحق أن الأمر كله مربك ، وإننى لأقدر توتره .. الكينونة ليست هى ويليامسون وبالتأكيد ليست السيدة (بوكاوسكى) لكنها هنا .. أعرف هذا ..

جو الظهيرة فى الخريف والصمت ..

ثمة طفل يلعب هنا وطفل هناك .. بالمناسبة لا أعرف كيف يجد الأطفال أمانًا فى اللعب هنا ما لم يكونوا كائنات شيطانية بدورهم ، لكن على قدر ما أذكر لا أعرف سفاحًا تتابعيًا طفلاً . هناك أطفال قتلة بالتأكيد لكن صفة السفاح الذى يقتل للذة القتل نادرة ..

ابتعدنا .. شتان بين مجيئنا ورحيلنا .. جئنا متحمسين وانصرفنا مذعورين .. ومن بعيد رأينا فتاة تلبس ثوبًا خليعًا يبدو أنها ثملة .. تستند على الجدران وتفرغ معدتها التى ألهبتها الخمر . بدا لى الوجه مألوفًا نوعًا .. بالتأكيد جاءت من عند أميمة ..

قال ويليامسون الكلمة التى كنت أخشاها :

ـ « بائعة الهوى المقتولة !!! »

لا تقل هذا أرجوك ... ليتك صمتَ ..!.... كنت أعرف هذا .. هارى يعرفه .. أنا أعرفه ..

ـ 2 ـ

قال هارى على الفور :

ـ « أنت لم تر بائعة الهوى المقتولة !!! »

قال ويليامسون فى ثبات :

ـ « ببساطة لأننى رأيت الفتاتين ، ورأيت من بقيت حية .. إذن يمكن استنتاج من ماتت ... على كل حال ليس هذا وقت التذاكى وتوجيه الاتهامات . نحن فى قارب واحد .. هناك مشكلة خطيرة هى أننا نرى من ماتوا .. نراهم أحياء !.. كاترين ثم بائعة الهوى .. »

ثم أضاف :

ـ « القصاب .. ثلاجة القصاب والمخزن خلف مكتب البريد ... سوف نذهب هناك ونرى .. »

ـ « وكيف تنوى الدخول ؟ »

ـ « لا أعتقد أننا سنجد أحدًا هناك .. »

مشينا فى تؤدة .. مكتب البريد .. درنا من حوله . هناك رجل يتسول بقبعة . مشهد غير معتاد كذلك فى المدن الصغيرة ... هناك كلب ودود يحرك ذيله فى شغف ...

أخيرًا نرى مكانًا واسعًا يشبه المرآب .. وهناك (قرمة) لتقطيع اللحم وشاطور .. ومجموعة من الضلوع التى أعتقد أنها لأبقار . ليست آدمية على الأقل .. الأكل هنا صار مخاطرة حقيقية ....

هناك باب مغلق بقفل وله مقبض عملاق وطابع الثلاجات العملاقة كالذى كان فريد شوقى يتشاجر فيه فى فيلم سوق الخضار .. طاخ .. طاخ ... الترسو يصفق .. صفييييييييير !...

هناك جدار يفصلنا عن متجر صغير ، وهذا المتجر امتلأ بثلاجات العرض .. يمكنك أن ترى رجلين بثياب عمل بيض يقفان وراء اللحم المعروض ،وثمة سيدة مسنة تتشاجر مع أحدهما ... القطعية كانت سمينة يا معلم بيومى .. اللحم استغرق وقتًا طويلاً على النار إلخ ... هل حجزت لى رطلين من الكبد ؟. الرجلان لا يريان الثلاجة لكن حضور أحدهما وارد فى أى لحظة ...

ـ « مغلق بقفل .. »

لكن ويليامسون أخرج أداة رفيعة من جيبه ودسها فى قفل المفتاح وراح يعبث .. قال لنا وهو يجرب :

ـ « هذه طفاشة ... تسللت لأماكن كثيرة فى مهنتى هذه .. وتعلمت من لص محترف أن أقهر الأقفال .. هكذا .. »

كليك !!!

بالفعل استرخى القفل كاشفًا أسراره فأزاحه ويليامسون .. ثم أمسك بالمقبض العملاق الذى يذكرك بمقابض الأبواب النيوترونية فى سفن الفضاء ، وفتحه ..

ـ « هل ندخل ؟ »

قلت فى رعب :

ـ « نحن عراة تمامًا مكشوفون لأى قط يمر .. يجب أن ندخل بسرعة لنتوارى ، لكن لا بد من بقاء واحد بالخارج .. أنت تعرف ما سيحدث .. لو دخلنا سينغلق علينا الباب بلا طريقة لفتحه من الداخل ، ولسوف نقضى الليل فى الصراخ والعويل إلى أن نصير فى الصباح جثثًا متجمدة .. »

كانت لى خبرة مروعة من قبل عندما قضيت الليل فى ثلاجة مع وباء .. وباء تجلبه كلمات سبع ، وكان أن فقدت إصبعين من قدمى بسبب قضمة الصقيع ..

هذه المرة سأفقد رأسى وأعيش من دونه ..

قال لى :

ـ « إذن ابق أنت .. »

ـ « بالعكس .. أنا هش كدجاجة .. تحتاج لشخص قوى يمكن أن يضرب ويقاوم .. هل لديك اقتراحات غير مستر هارى شيلدون ؟ »

بالطبع لا ...

وسرعان ما كان هارى واقفًا على بعد أمتار يصفر ويتظاهر بأنه لا يحرس زميلين تسللا إلى ثلاجة ...

تسللت فى الظلام مع ويليامسون .. برد قارس ... ظلام دامس ... لو كانت القبور كهذه فالموت مخيف فعلاً .

مد ويليامسون يده وتحسس .. من ثم انبعث ضوء أزرق كئيب من مكان ما ..

كنت أعرف ما سنراه واستعددت له .. قرصا نيتروجلسرين قد يؤديان الغرض . زيارة لبيت رعب الملاهى .. لكنها بالتأكيد ليست الملاهى . اللحم المعلق فى خطاطيف والمكدس على الأرض .. مسرح الجراند جوينيول الفرنسى المتخصص فى الأهوال .. أفلام الجياللو الإيطالية .. أفظع مـ...

وفتحت عينى ..

كان المشهد أبشع من هذا بكثير .. لا يوجد شىء !!

الثلاجة خالية تمامًا .

لا توجد جثث .. لا يوجد لحم ... لا يوجد لحم ماشية أصلاً ..

تبادلت النظر مع ويليامسون .. المأمور قال إن كل الجثث تنقل لثلاجة القصاب إلى أن يأتى رجال ونشيتا .. معنى هذا أننا كنا سنجد ست جثث ممزقة على الأقل ..

كان هناك شىء مغطى على الأرض ، فاقترب منه ويليامسون وأزاح الغطاء الدامى فى حذر واشمئزاز .. رأينا رأسًا آدميًا متجمدًا ... يمكن بسهولة أن تميز أن الأذن مشوهة وأن الأسنان نخرة ..

هذا هو الشىء الوحيد الإيجابى - أو السلبى - فى الثلاجة كلها ..

قال ويليامسون والبخار يتصاعد من بين شفتيه :

- « لا أعرف من هذا .. »

فيما بعد عرفت أن هذا هو زوج أميمة السابق .. ويليام ويلسون .. كان مشهورًا بأسنانه وتلك الأذن التالفة ..

كان سبب وجودنا قد انتهى فألقينا نظرة أخيرة ثم فررنا إلى الخارج ، حيث كان هارى يلف ويدور متوترًا كأننا ظللنا شهرًا بالداخل ..

لما رآنى هتف :

- « فظيع . أليس كذلك ؟ بيت الموتى .. »

قلت له فى برود :

- « أفظع مما تتصور .. لا يوجد شىء على الإطلاق . ولكن لنبتعد ونتكلم .. »

ابتعدنا لعدة أمتار .. ونظرت للخلف فوجدت أحد القصابين يحمل على كتفه الملطخ بالدم فخذ خنزير سمينة ، ويتجه إلى الثلاجة .. كان هذا قريبًا جدًا كما يقول الأمريكان ... دقيقة واحدة وكان سيجدنا .. عندئذ ؟؟؟. لا أعرف ما يمكن لمجموعة جزارين مسلحين ممسوسين شيطانيًا أن يفعلوه مع المتطفلين ...

وقفنا أخيرًا أمام الموتيل نلهث ...

قال هارى :

ـ « معنى هذا خطير .. إنهم يتخلصون من الجثث أولاً بأول .. »

قلت أنا :

ـ « بل لى رأى مختلف .. نحن رأينا ضحية السيدة بوكاوسكى .. رأينا بائعة الهوى ... الجثث لا تظل جثثًا هنا .. إنها تنهض ثانية !!! »

قال ويليام مؤمّنًا :

ـ « هذه لعبة سادية عبثية أبدية .. السفاحون يقتلون ضحاياهم للأبد والضحايا يعودون للأبد ... »

قلت أنا بلهفة :

ـ « لكن هذه اللعبة تُخرق عندما يدخل المدينة غرباء مثلنا .. إنهم يموتون ويظلون موتى .. أعتقد أن الرسامة روزالين لن تعود .. »

رحنا نفكر من جديد ونحن نقف فى مدخل الموتيل ... صوت ذباب من حولنا .. العصر بجوه الخمول الكئيب .. للمرة الألف لو حدث هذا ليلاً لتوقفت قلوبنا ..

هنا فوجئنا بالمأمور كالاواى يمر من بعيد مع نائبه ...

تبادلنا النظرات ثم قررنا أننا لن نتكلم .. لن نتكلم .. نحن لا نثق بأحد هنا .. أشلى مدينة لعينة وكل من فيها ملاعين ..

لكن المأمور جفف عرقه الغزير ولوح لنا بذراعه محييًا بما معناه أننا أصدقاء قدامى ..

هتف وهو يهز كرشه الذى انزلق الحزام تحته :

ـ « لم تجدوا شموعًا بعد ؟ ... غريب . غريب .. اسألوا فى مكتب البريد الآن .. سوف يُغلق بعد ربع ساعة .. »

ثم غنى بصوته الأجش :

ـ « اليوم ... ربع ساعة بعد منتصف الليل .. قابلينى عند شجرة البلوط .. »

وراح يضحك كالحشاشين .. الضحكات التى تنتهى بالبصق .. نظر لنا النائب وابتسم ... وابتعدا ..

كان عقلى يعمل بسرعة البرق ...

هل هذه إشارة ؟

« ربع ساعة بعد منتصف الليل .. بعدها ينتهى كل شىء .. »

هذه هى كلمات الكينونة التى قالتها فلم أعرف قيمتها .. يمكننى الآن أن أسترجع نصائحها فأدرك أنها كانت دقيقة جدًا ..

1 ـ الميكانيكى البارع سلعة نادرة فعلاً ، ولو وجدته قد لا يكون فى صفك . هذا حق .. (فيك) لم يكن محل ثقة ولم يكن هناك ميكانيكى آخر .

2 ـ لا تثق فى الصابون ذى الرغوة الزائدة . هذا دهن قتيلات مدام جنجولى .

3 ـ أين تذهب كُلى الجثث ؟. سرقها د. إيركهارت الذى يلعب دور جاك السفاح .

4 ـ لا تثق فى الأطباء أبدًا .. د . إيركهارت نموذج ممتاز للطبيب الوغد ..

5 ـ انظر لعيون الأطفال ففيها الحقيقة كلها . قزحيات الأطفال الملونة نتيجة تجارب طبيب مجنون .

6 ـ اللحم المشوى لذيذ دائمًا لكنه يتعب المعدة . لا أفهم هذا الجزء .. ترى هل مطعم أميمة ؟.....

7 ـ هناك دائمًا لوحات رائعة . هذا قادنا لزيارة السيدة بوكاوسكى .

8 ـ شابوركان وابن فتك والنار . رسالة واضحة تتحدث عن المانوية .. لا بد أن شابوركان هو الكتاب الموجود فى المعبد المهجور .

9 ـ ربع ساعة بعد منتصف الليل .. بعدها ينتهى كل شىء . ما معنى هذا ؟؟؟؟

قلت لهارى وويليامسون :

ـ « أقترح أن نذهب لمكتب البريد بسرعة .. »

قال هارى فى لا مبالاة :

ـ « هذا رجل مخمور ... دعك من هذيانه »

كنت أجرى فعليًا قبل أن أرد .. وهكذا لحق بى الرجلان غير فاهمين .. قطعنا الشارع ومررنا بصالون الحلاقة .. وأخيرًا مكتب البريد ... لا يوجد شىء .. لقد أغلق فعلاً. لكنى كنت متأكدًا من أننى سأجد شيئًا .. كانت هناك سلة مهملات جوار مكتب البريد فهرعت لها .. بحثت فيها فى لهفة ثم ركلتها لينسكب ما فيها على الأرض ..

سلوك غير متحضر .. لكنك ترى شموع الاحتراق على الأرض معى !!

كانت هنا منذ البداية ...!

هتف هارى وهو يلتقطها :

ـ « التيس العجوز قد أعطانا الحل دون أن يدرى .. هل هو متعاطف معنا أم هو الذى قام بفكها ؟ »

قلت فى غموض :

ـ « إنه فى صفنا .. لكن قد لا يكون كما تحسب .. »

ـ « ما معنى كلامك ؟ »

لم أستطع الشرح أكثر .. فقط أعرف أن يومنا حافل ..

ـ 3 ـ

هل معك مفتاح البوجيهات يا هارى ؟ جميل .. جميل ...

هلم تسلل لسيارتك وأعد شموع الاحتراق ... لقد كانت لندا ذكية عندما أثارت هذه النقطة .. هل تذكر ما قالته ؟.. « ما دامت مغامرة المدينة مستحيلة ، فلماذا اختفت شموع احتراق سيارتنا ؟ حتى السيارة السليمة لا تستطيع المغادرة .. »

قال هارى موافقًا :

ـ « معها كل الحق .. الزوجة الذكية مشكلة حقيقية .. أرى أن خطوة العثور على شموع الاحتراق لا معنى لها .. سنكرر ذلك السيناريو البائس .. »

كان قلبى يخفق بين الضلوع انفعالاً .. أعرف هذه اللحظة جيدًا .. الأدرينالين وقلب واهن .. أنا موشك على الإصابة بنوبة قلبية ما لم أهدأ ..

بدأت أسعل كما علمونى لتحاشى النوبة القلبية ثم قلت :

ـ « اختفاء شموع الاحتراق معناه بسيط .. معناه أن هناك ظروفًا معينة تسمح بمغادرة المدينة إذا كانت سيارتك سليمة !! »

نزع ويليامسون عويناته الغليظة ونظر لى بعينيه الجاحظتين وقال :

ـ « متى وكيف ؟ »

نظرت حولى لأتأكد من عدم وجود مستمعين ثم قلت :

ـ « ربع ساعة بعد منتصف الليل .. هذا هو الوقت الذى تفتح فيه الفجوة بين الأبعاد ... أراهنكما على أن هذه هى الفترة التى يرى فيها العابرون أضواء أشلى .. ويركب فيها شرطى الجحيم عربته باحثًا عن ضحايا .. »

قال هارى فى شك :

ـ « من أين جئت بكل هذه الأوهام بالضبط ؟ »

ـ « سوف نجرب ونرى إن كانت أوهامًا أم لا ... الخطوة الأولى هى أن تركب شموع الاحتراق .. »

ـ « والثانية ؟ »

ـ « أن نثقب إطارات سيارة الشرطى الواقفة أمام المحكمة !! »

★ ★ ★

الثانية عشرة مساء ...

السيارة واقفة فى الظلام كوحش نائم ، لكن فيها ليندا وجيمى .. نقف على بعد أمتار من المعبد المانوى الذى حسبناه كنيسة فى البداية ..

حمل ويليامسون (جيركن) البنزين الاحتياطى ولحق بى فى الداخل .

هارى مستعد على المقود لننطلق ..

نمشى وسط الأعشاب الطويلة ... نمر جوار السيارة الصدئة الواقفة التى امتلأت بالقطط . ندوس على النباتات الشائكة وندخل ..

الدكك الخشبية فى ضوء الكشاف .. يبدو أن هناك وطاويط كذلك .. رائحة العطن .. اللهاث ..

مزق ويليامسون الستائر الممزقة فوق المذبح ..

شعرت كأنها لقطة من أفلام هامر القديمة .. لحظة تمزيق الستائر ليغمر نور الشمس المكان قبل قتل دراكيولا ...

فى سخاء راح يسكب البنزين على المذبح وفوق صفحات الكتاب ... هذه خسارة لا شك فيها لأن الكتاب ثمين ، لكن لا أعرف طريقة أخرى للنجاة ..

« شابوركان وابن فتك والنار » .. هل لديك تفسير آخر لهذه الجملة ؟

ابتعدنا ثم إنه أخرج عود ثقاب وطوحه .. وانطلقنا نجرى قبل صوت الـ (فهام) المخيف .. البنزين كائن أحمق لا يعرف التدرج .. ينفجر على الفور ..

كما أننى توقعت أن أرى أرواحًا غاضبة تخرج من الكتاب ... لم يحدث هذا لحسن الحظ . كان سيجعل المشهد أجمل ..

جرينا فى الحديقة المظلمة .. ونظرنا للخلف فرأينا النيران تتعالى ...

ركبنا السيارة .. أنا مع ليندا وجيمى بينما جلس ويليامسون جوار هارى ..

نظرت للساعة وقلت :

ـ « هيا .. يجب أن تصل لحدود البلدة خلال خمس دقائق .. »

ضغط على دواسة البنزين وانطلقت السيارة ... السيارة التى ظلت غافية كل هذا الوقت ..

وهنا رأينا ظلالاً قادمة من بعيد ..

يجرون نحونا ... أرى الوجوه وأعرف بعضها .. الطبيب الذى قتلناه .. بائعة الهوى .. العاشقين .. أميمة .. السيدة بوكاوسكى .. القاضى ..

كلهم قادمون ..

منهم من يلوح بفأس .. ومنهم من يلوح بمشعل .. ومنهم من يحمل منجلاً... والشرطى يرفع مسدسه ..

فى ضوء النيران نراهم .. اللهب يتعالى لعنان السماء ... المعبد يحترق .

ـ « ماماااااااااااا !... إنهم قادمون ! »

ـ « هااارى !.. اهرب بسرعة ! »

كانوا يسدون الطريق لكن هارى قام بمناورة ممتازة وعاد فى طريق آخر ..

إى ى ى ى ى !

لو كان هذا فيلمًا سينمائيًا لاستطعت أن أجعلك تجلس على طرف مقعدك .. لا داعى لتخيل ما سيحدث لو تعطلت السيارة الآن ..

ـ « ماماااااااااااا !... إنهم قادمون ! »

فعلاً هم قادمون .. من الاتجاه المعاكس .. يسدون علينا الطريق وهم يلوحون بالسلاح .. هناك من قذفنا بمشعل لكنه لم يصب السيارة ...

هذه المرة لم يستطع هارى أن يدور حول نفسه وإلا انقلبنا .. سرعان ما كان وسطهم وقد دهم خمسة منهم ...

وسرعان ما وجدنا أننا نجرى على الطريق ...

الثانية عشرة والربع ...

هتف هارى وهو يتشبث بعجلة القيادة :

ـ « رفعت .. لو كنت أحمق وكانت حساباتك خاطئة فلسوف نجد أنفسنا أمام مكتب محطة البنزين والمحكمة بعد دقائق .. هذه المرة سوف يثقبون إطارات السيارة وينزعون بابها ... خمسمائة وحش غاضب سوف يمزقوننا ! »

كنت أنا غير قادر على الرد ..

هل رأيت هذه المعالم من قبل ؟

لا .....

هذه الشجرة .. هذه الأدغال ..

أقسم أننا لم نأت هنا من قبل ..

ونظرت للخلف ... رأيت أضواء أشلى من بعيد ..

ونظرت للسماء ...

طائرة هليوكوبتر تحلق هناك ..

قلت بصوت مرتجف :

ـ « لقد عبرنا الثغرة .! ... نحن فى عالمنا الأصلى .. بعد منتصف الليل بربع ساعة تنفتح الثغرة وتظهر أضواء أشلى .. هذه الطائرة ترى الأضواء وطيارها يفرك عينيه مذهولاً .. منذ متى توجد مدينة هنا ؟ »

بعد نصف ساعة أدركنا أننا غادرنا هذا الكابوس ....

معالم الطريق 166 تتضح ....

قلت لويليامسون :

ـ « سيارتك .. لقد تركناها »

هز رأسه ونظر للطريق وهمس :

ـ « فلتذهب للجحيم .. »

الخاتمـــــة

عزيزتى :

الحق أنك كنت خير عون لى .. لم تكن تعليماتك بهذه الدقة قط من قبل. لقد كانت نهايتى فى أشلى فعلاً لولا نصائحك. إننى لشاكر لك . واسمحى لى أن أقول إننى عرفت من أنت .. أنت مأمور البلدة البدين .. لقد أوحى لنا بالحل مرتين .

بإخلاص :

رفعت إسماعيل

★ ★ ★

عزيزى رفعت :

سعيدة لأنك لم تنس نصائحى برغم أنك لم تكتبها . لا شك فى أنك لم تبحث عن العلامات الخمس فى المأمور وإلا لما وجدت أيًا منها .. الواقع أننى لم أكن المأمور ... لم أكن فى أشلى قط ، لكنى أردت أن أرفع معنوياتك حتى لا تشعر أنك وحيد ..

لقد قيدنى من لا أستطيع ذكر اسمه وأرغمنى على عدم التواجد هناك .

المأمور كان يتكلم عن مكتب البريد لسبب بسيط . هو أنه من ألقى شموع الاحتراق هناك ، ثم نطق بالحقيقة لأنه كان ثملاً ... ربع ساعة بعد منتصف الليل .. قابلينى عند شجرة البلوط . هذه أغنية حقيقية تذكرها بالصدفة ..

الشىء الوحيد الذى ساعدتك فيه هى التلميحات الصحيحة وأهمية حرق الكتاب .. كان هذا تصرفًا صحيحًا ...

لقد عدت لعالمنا ...

لأسباب يطول شرحها ، لا يسمح لنا بنشر هذه القصة أبدًا ، لذا سوف تكتشف أن أصدقاءك الظرفاء لا يذكرون عنها أى شىء ... حتى الكاتب فريدى ويليامسون سيعود ليقول لرئيسه إنه لم يجد شيئًا غريبًا. ستظل أشلى صفحة فى كتب الظواهر الفورتية ولن يعرف أحد حقيقتها أبدًا . سوف أسمح لك بتدوين هذه القصة على الورق ولكن ليس بأى لغة أرضية معروفة ...هذا هو شرطى الوحيد ..

شكرًا سلفًا ....

بإخلاص :

★ ★ ★

هكذا جلست أكتب القصة ..

اكتشفت ظاهرة عجيبة هى أننى تلقائيًا أبدل الحروف أثناء الكتابة ... كل حرف أكتب الذى يليه بحرفين . لا شك أن الكينونة منحتنى هذه القدرة مؤقتًا ..

النتيجة هى أننى فرغت من كتابة هذا النص فوجدته مفهومًا لى ، لكنه مستحيل الفهم لأى شخص آخر .. قصة كاملة مكتوبة بالشفرة .. شىء عجيب حقًا .

أشلى ... ستبقى هذه الذكرى المخيفة فى ذاكرتى أبدًا لكنى لن أحكيها ضمن ذكرياتى . على الأقل وأنا حى ..

لا أريد أن أثير حفيظة الكينونة . إنها قادرة على أن تؤذينى فعلاً .

دكتور رفعت إسماعيل - كنساس

الولايات المتحدة

خاتمة المؤلف

انتهى النص الذى أخذته من ماجى ، والذى عكفت على ترجمته ، وهكذا فهمت سبب كتابته بهذه الشفرة . و لماذا لم يحكه رفعت ضمن حشد ثرثرته الطويلة .

كان التحذير مخصصًا لرفعت .. لا أعتقد أنه يشملنى ... أعتقد أن بوسعى أن أحكى لكم هذه الكلمات ، ولا أعتقد أننى سأثير غضب هذه الكينونة .. كيف أثير غضب شىء لا أعرف ما هو أصلاً ؟

لا أعرف إن كنت سأجرب البحث فى مزيد من مذكرات رفعت المنسية .. لكن أعتقد أن هذا لن يحدث قبل عامين على الأقل لو عشنا ......

فى الصباح سأنهض من النوم وأبدأ فى حكاية القصة ..

قصة تلك المدينة .

[تمت بحمد الله]

روايات عالمية

صدر من هذه السلسلة :

١ ـ فلاش جوردن .
٢ ـ كنوز الملك سليمان .
٣ ـ دكتور نو .
٤ ـ حرب النجوم .
٥ ـ الفك المفترس
٦ ـ فوق مستوى الشبهات .
٧ ـ رحلة إلى مركز الأرض .
٨ ـ الغيبوبة .
٩ ـ الشيطانة .
١٠ ـ لقاءات من النوع الثالث .
١١ ـ وجاء العنكبوت .
١٢ ـ قبضة الشيطان الذهبية .
١٣ ـ نداء الأعماق .
١٤ ـ القتل دون مقيم ألعاب
١٥ ـ سلالة أندروميدا .
١٦ ـ الغرفة الحمراء .
١٧ ـ وادى العناكب .
١٨ ـ صورة دوريان جراى .
١٩ ـ العالم المفقود .
٢٠ ـ صانع الأمطار .
٢١ ـ ألف ليلة وليلة الجديدة .
٢٢ ـ سباق الموت .
٢٣ ـ كونغو ...
٢٤ ـ كلب آل باسكرفيل .
٢٥ ـ مدينة مثل أليس .
٢٦ ـ الحزاز .
٢٧ ـ مطار (٧٧) .
٢٨ ـ النطاق المسموم .
٢٩ ـ الجزيرة .
٣٠ ـ لا تنظرى الآن .
٣١ ـ جزيرة الدكتور مورو .
٣٢ ـ عرين الدودة البيضاء .
٣٣ ـ رحيق الملكات .
٣٤ ـ وصية الثلاثين ألف دولار .
٣٥ ـ العميل .
٣٦ ـ ما وراء العالم .
٣٧ ـ خلف جدار النوم .
٣٨ ـ القريم الخفى .
٣٩ ـ قضية الذئب .
٤٠ ـ الرجل الذى كان الخميس
٤١ ـ الجزيرة الغامضة .
٤٢ ـ ٤٥١ فهرنهيت .
٤٣ ـ دورة المذءوب .
٤٤ ـ حكايات أوسكار وايلد .
٤٥ ـ قلب الليل .
٤٦ ـ كتب الدم .
٤٧ ـ أوديسا الفضاء .
٤٨ ـ دكتور جيكل ومستر هايد .
٤٩ ـ حكايات مارك توين .
٥٠ ـ ١٩٨٤ جـ١ .
٥١ ـ ١٩٨٤ جـ٢ .
٥٢ ـ موبى ديك .
٥٣ ـ غريب فى أرض غريبة جـ١ .
٥٤ ـ غريب فى أرض غريبة جـ٢ .
٥٥ ـ حكايات ألفرسن .
٥٦ ـ الستار .
٥٧ ـ قصص من أزيموف .
٥٨ ـ شرطى المكتبة .
٥٩ ـ أسطورة سليبى هولو .
٦٠ ـ كارميللا .
٦١ ـ محامى الشوارع .
٦٢ ـ قاعة المرايا .
٦٣ ـ جوهرة النجوم السبع .
٦٤ ـ مغامرات أرسين لوبين .
٦٥ ـ أليس فى بلاد العجائب .
٦٦ ـ قلعة الأسرار .
٦٧ ـ عبودية الإنسان .
٦٨ ـ نداء كثولو .
٦٩ ـ لورد جيم .
٧٠ ـ ماتيلدا .
٧١ ـ الرجل الذى يجمع كتب (بو) .
٧٢ ـ قطار الجحيم .
٧٣ ـ الرجل الخفى .
٧٤ ـ أفضل قصص الأشباح .
٧٥ ـ التنين الأحمر .
٧٦ ـ الأفق المفقود .
٧٧ ـ ساحر أوز .
٧٨ ـ تايبى .
٧٩ ـ أحزان الشيطان .
٨٠ ـ سبعة مفاتيح لبالديت .
٨١ ـ أمريكى فى بلاط الملك .

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعـــب والإثـــارة

صدر من هذه السلسلة :

١ ـ أسطورة مصاص الدماء .
٢ ـ أسطورة النداهة .
٣ ـ أسطورة وحش البحيرة .
٤ ـ أسطورة آكل البشر .
٥ ـ أسطورة الموتى الأحياء .
٦ ـ أسطورة رأس ميدوسا .
٧ ـ أسطورة حارس الكهف .
٨ ـ أسطورة أرض أخرى .
٩ ـ أسطورة لعنة الفرعون .
١٠ ـ أسطورة حلقة الرعب .
١١ ـ أسطورة الكاهن الأخير .
١٢ ـ أسطورة البيت .
١٣ ـ أسطورة اللهب الأزرق .
١٤ ـ أسطورة رجل الثلوج .
١٥ ـ أسطورة النبات .
١٦ ـ أسطورة التافاراى .
١٧ ـ أسطورة حسناء المقبرة .
١٨ ـ أسطورة الغرباء .
١٩ ـ أسطورة بو .
٢٠ ـ حكايات التابوت .
٢١ ـ أسطورة عدو الشمس .
٢٢ ـ أسطورة الميتوتو .
٢٣ ـ أسطورة رعب المستنقعات .
٢٤ ـ أسطورة إيجور .
٢٥ ـ أسطورة الجنرال العائد .
٢٦ ـ أسطورة المواجهة .
٢٧ ـ أسطورتنا .
٢٨ ـ أسطورة آخر الليل .
٢٩ ـ أسطورة الجاثوم .
٣٠ ـ أسطورة بعد منتصف الليل .
٣١ ـ أسطورتها .
٣٢ ـ أسطورة رفعت .
٣٣ ـ أسطورة أرض المغول .
٣٤ ـ أسطورة الشاحبين .
٣٥ ـ أسطورة دماء دراكيولا .
٣٦ ـ أسطورة الفصيلة السادسة .
٣٧ ـ أسطورة النّبية .
٣٨ ـ أسطورة النصف الآخر .
٣٩ ـ أسطورة التوءمين .
٤٠ ـ أسطورة .
٤١ ـ أسطورة فرانكنشتاين .
٤٢ ـ أسطورة الكلمات السبع .
٤٣ ـ أسطورة تختلف .
٤٤ ـ أسطورة رجل بكين .
٤٥ ـ أسطورة بيت الأفاعى .
٤٦ ـ أسطورة طفل آخر .
٤٧ ـ المنزل رقم (٥) .
٤٨ ـ المومياء .
٤٩ ـ أسطورة العشيرة .
٥٠ ـ فى مخلب النجوم .
٥١ ـ أسطورة الرقم المشئوم .
٥٢ ـ أسطورة مملة .
٥٣ ـ أسطورة النبوءة .
٥٤ ـ أسطورة العراف .
٥٥ ـ أسطورة (٩٩٩ ٩٩٩) .
٥٦ ـ أسطورة ملك الذباب .
٥٧ ـ أسطورة المقبرة .
٥٨ ـ أسطورة أرض العظايا .
٥٩ ـ أسطورة ونيل السوداء .
٦٠ ـ أسطورة المتحف الأسود .
٦١ ـ أسطورة الشىء .
٦٢ ـ أسطورة صندوق باندورا .
٦٣ ـ أسطورة المحركين .
٦٤ ـ أسطورتهم .
٦٥ ـ أسطورة العلامات الدامية .
٦٦ ـ أسطورة الرجال الذين لم يعودوا كذلك !
٦٧ ـ أسطورة بيت الأشباح .
٦٨ ـ أسطورة أرض الظلام .
٦٩ ـ أسطورة نادى الغيلان .
٧٠ ـ الحلقات المنسية .
٧١ ـ أسطورة الظلال .
٧٢ ـ أسطورة الطوطم .
٧٣ ـ أسطورة شبه حقيقة .
٧٤ ـ أسطورة أغنية الموت .
٧٥ ـ أسطورة الطفيل .
٧٦ ـ أسطورة معرض الرعب .
٧٧ ـ أسطورة الفتاة الزرقاء .
٧٨ ـ أسطورة حامل الضياء جـ١ .
٧٩ ـ أسطورة حامل الضياء جـ٢ .
٨٠ ـ أسطورة الأساطير جـ١ .
٨١ ـ أسطورة الأساطير جـ٢ .
٨٢ ـ عدد خاص (٥) تلك المدينة .

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

١ ـ قصة لا تنتهى .
٢ ـ حكايات من والاشيا .
٣ ـ صفر .. صفر .. سبعة .
٤ ـ إمبراطورية النجوم .
٥ ـ ذات مرة فى الغرب .
٦ ـ خيول ورماح .
٧ ـ ألعاب إغريقية .
٨ ـ مملكة الموتى .
٩ ـ الخنافون .
١٠ ـ الاسم شكسبير .
١١ ـ نداء الأدغال .
١٢ ـ بين عالمين .
١٣ ـ رجال من كريبتون .
١٤ ـ من بعد سوبرمان .
١٥ ـ إعدام فى البرج .
١٦ ـ شبح وشيطان .
١٧ ـ اقتلوا بطوط .
١٨ ـ توم ومن معه .
١٩ ـ خمسة منهم !
٢٠ ـ من فعلها ؟!
٢١ ـ لا تدخلوا شيرووود .
٢٢ ـ قلعة السفاحين .
٢٣ ـ أرض .. قمر .. أرض .
٢٤ ـ فليدخل التنين .
٢٥ ـ من أجل طروادة .
٢٦ ـ عودة المحارب .
٢٧ ـ آخر أيام الرايخ .
٢٨ ـ 1919 .
٢٩ ـ الوطواط .
٣٠ ـ عبقرى .
٣١ ـ اسمه أدهم .
٣٢ ـ فى مملكة الأخوين .
٣٣ ـ أيام مع هانيبال .
٣٤ ـ عرض لا تستطيع رفضه .
٣٥ ـ ما أمام الطبيعة .
٣٦ ـ حب فى أغسطس .
٣٧ ـ فلاسفة فى حسائى .
٣٨ ـ غينان .
٣٩ ـ صديقى جلجاميش .
٤٠ ـ أرشيف الغد .
٤١ ـ ألعاب فارسية .
٤٢ ـ الطل بعينه .
٤٣ ـ أسطورة نهر .
٤٤ ـ شىء من حتّى .
٤٥ ـ تشى !
٤٦ ـ الحالم الأخير .
٤٧ ـ الساحر وأنا .
٤٨ ـ اللغز .
٤٩ ـ يوم غرق الأسطول .
٥٠ ـ هى والأنا .
٥١ ـ فلننقذ البوتشى .
٥٢ ـ ب 4 م .
٥٣ ـ بخاران .
٥٤ ـ عبقرى آخر .
٥٥ ـ الصيادون .
٥٦ ـ ليال عربية .
٥٧ ـ قصة كل ليلة .
٥٨ ـ البطل ذو الألف وجه .
٥٩ ـ فى جحيم الألعاب .
٦٠ ـ وحدى مع لافكرافت .
٦١ ـ من قتل الإمبراطور ؟
٦٢ ـ أحلام .
٦٣ ـ وعد جوناثان .

سافارى

صدر من هذه السلسلة :

١ ـ الوباء .
٢ ـ خاطفو الأجساد .
٣ ـ الحريق .
٤ ـ رقصة الموت .
٥ ـ تجربة محرمة .
٦ ـ أشياء تحدث ليلًا .
٧ ـ الآن تراه .
٨ ـ الكابوس .
٩ ـ الفصيلة .
١٠ ـ العاشر .
١١ ـ يوم ثارت الوحوش .
١٢ ـ أرض الجنون .
١٣ ـ تسى تسى ! .
١٤ ـ إنهم يعودون أحيانًا .
١٥ ـ الرجل الذى لم يكن .
١٦ ـ ؟؟؟
١٧ ـ دواء يقتل ..
١٨ ـ عام الأفاعى .
١٩ ـ الجمجمة ؟
٢٠ ـ المرض الأسود .
٢١ ـ المأساة .
٢٢ ـ قشعريرة .
٢٣ ـ الانفجار .
٢٤ ـ الآن ترجوكم الصمت .
٢٥ ـ كليمنجارو .
٢٦ ـ الظاهرة .
٢٧ ـ H.I.V.
٢٨ ـ توركانا .
٢٩ ـ حكاية ثقب .
٣٠ ـ قصاصات .
٣١ ـ الحادث .
٣٢ ـ لماذا جنت الأبقار ؟
٣٣ ـ زولو .
٣٤ ـ حكايات من التانال .
٣٥ ـ رجال من رجال .
٣٦ ـ هواء فاسد .
٣٧ ـ رجل الرمال .
٣٨ ـ الأخير .
٣٩ ـ NDE .
٤٠ ـ عن الطيور نحكى .
٤١ ـ سيد الجينات .
٤٢ ـ هُم !
٤٣ ـ إلى الشمال .
٤٤ ـ داء الأسد .
٤٥ ـ الشمس الأرجوانية .
٤٦ ـ المرض السابع .
٤٧ ـ الوحدة 731 .
٤٨ ـ إنهم يكذبون ..
٤٩ ـ الشّعار .
٥٠ ـ قصة بوليسية .
٥١ ـ عودة ساحرة الأفاعى .

روايات مصرية

سلسلة الأعداد الخاصة 8

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والإثارة



د. أحمد خالد توفيق

تلك المدينة

17/1/016

وكانت ماجى تملك بعض الأوراق .. أوراق تركها رفعت لها يومًا ما ، عندما كان بوسعه أن يترك أوراقًا .. وكان المؤلف هناك ينتظر فرصة كهذه . ماجى مُسِنَّة تخشى أن تموت مع هذه القصص التى لن ترى النور ؛ لهذا تتركها للمؤلف كى يقدمها للقراء بطريقته . وفى بيته راح يتفحص الأوراق على ضوء الأباجورة ، فأدرك أن رفعت المسنّ كان كجبل الجليد .. يخفى قصصًا كثيرة لم يلمَح عنها ولم يحكِها قط . القصة الحالية مثلاً تتحدث عن مدينة .. مدينة غريبة الأطوار .. ولكن .. دعنا نطالع الكتيب معًا ..

www.rewayatmasreya.com
facebook.com/rewayatmasreya
الخط الساخن
19350

العربية الحديثة